الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
Centre Universitaire Abdelhafid BOUSSOUF -Mila

معهـــــد الآداب واللغـــــات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

عنوان المذكرة:

تجليات مكارم الأخلاق في شعر عروة بن الورد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
***نوال بوحوش**
*** فريال خالد**

إشراف الأستاذ:
عمار قرايري

دعاء

اللهم اجعل ألسنتنا عامرة بذكرك،وقلوبنا بخشيتك

وأسرارنا بطاعتك

إنّك على كل شيء قدير.حسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم إنّي استودعك ما قرأت وما حفظت وما

تعلّمت

فردّه إليَّ عند حاجتي إليه، إنّك على كل شيء قدير

ربّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري واحلل عقدة من

لساني يفقهوا قولي

بسم الله الفتّاح، اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وأنْتَ

تَجْعَلُ الحَزَنَ إذَا شِئْتَ سَهْلاً

يا أرحم الراحمين.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا

الحمد لله الذي أعاننا على إنجاز وإتمام هذا العمل

شكرا لمن علّمونا حروفا من ذهب وكلمات من ورود

وعبارات من أسمى وأحلى عبارات في العلم

إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا

ومن فكرهم منارة تنير لنا سير النجاح والعلم

إلى أساتذتنا الكرام الذين مهّدوا لنا طريق العلم

والمعرفة

ونتوجّه بجزيل الشكر والعرفان إلى من تفضّل بالإشراف

على هذا البحث: الأستاذ:" قرايري عمار"

فجزاه الله عنا خير الجزاء، وله منّا كلّ التقدير والإحترام

شكرا إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث

نوال و فريال

إهداء

بعد طول الصبر و العناء وفقني الله إلى هذا العطاء فله الشكر حتى يبلغ الحمد منتهاه

ولم يبق لي الحق إلا الإهداء.

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه،إلى من كان يتعب ويتألم من أجل أن يرسم البسمة على محياي حفظك الله ورعاك.

" أبي الغالي"

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى ما أملك

"أمّي ثم أمّي ثم أمّي"

فمهما قلت لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ولا الأرقام تحصي فضائلهما أمّي وأبي حفظكما الله وأدامكما بالصحة والعافية.

إلى أفراد أسرتي أختي وتوأم روحي ورفيقة دربي في هذه الحياة غنية وزوجها العزيز ناصر

إلى من علّموني علم الحياة وأظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إلى إخوتي: محمد، ناصر، لمين، رمزي، إلى الكتاكيت أنفال، مايا، محسن، لينة، جهاد، معتز بالله،هبة الرحمان، إياد، أصيل.

إلى الصديقة فريال التي كانت رفيقة دربي طيلة مشواري الدراسي، الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات، ذكريات الأخوة البعيدة إلى صديقاتي: أميرة، مفيدة، لبنى، مديحة، عفيفة، إكرام، ليندة، صباح، يسرى، ريمة، نهى، فردوس، أماني،شهيناز

إلى كل من ذكرهم القلب واللسان، ونسيهم الورق والقلم.

نوال

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى من هما قدوتي ومثلي الأعلى، الوالدين الكريمين حفظهما الله،

إلى من شاركوني دفئ العائلة ، أخي وأخواتي دون أن ننسى الكتاكيت الصغار: سراج الدين محمد"

إلى كل عائلتي من قريب أو بعيد.

إلى من غمروني بحبهم ونصحهم الأساتذة ككل

وخاصة الأستاذ الفاضل "قرايري"

إلى من رافقتني في مشواري الدراسي وكانت الرفيقة الصديقة الغالية "نوال"

إلى كل زملائي في العمل والدراسة.

إلى كل من علمني حرفا وسعى إلى دفعي نحو الأمام أساتذتي الكرام.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم هذه الورقة

خالد قريال

مقدمة

مقدمة

يطلق المؤرخون لفظ الجاهلية على أحوال العرب منذ كانوا إلى ظهور الإسلام وليس الغرض من الجاهلية النسبة إلى الجهالة المناقضة للعلم والمعرفة، وإنّما الغرض منها السفاهة التي كانت مؤدية إلى الهمجية وانتشار الضلالة وعبادة الأوثان، والإسراف في القتل والسداجة الزنا والخمر، وانتهاء ذلك كله بتأريث العداوة وقيام الحروب وتفرق القبائل حيث لم يكن عرب الجاهلية مجتمعا واحدا، بل كانوا طبقات اجتماعية مختلفة متباينة تمثل المجتمعات الإنسانية التي مرت بها البشرية في تاريخها الطويل.

كان العرب في العصر الجاهلي سواء في الجاهلية الأولى، أو في الجاهلية الأخيرة يعرفون مكارم الأخلاق ويحسنونها ويعملون بها، وذلك من خلال اتصالهم بمن جاورهم ومن خلال حياتهم الفطرية التي عاشوها في هذه الحقبة ودل عليها من جاءوا بعدهم في العصر الذي تلا العصر الجاهلي كانوا يعرفون المبادئ الكريمة والصفات الحسنة، التي جاء القرآن بعلنها بعد ذلك على الأقوام من بعدهم، والذين دخلوا في الإسلام هم الذين تربوا على الأخلاق في عصر ما قبل الإسلام ومن أجل ذلك قال الرسول صل الله عليه وسلم:"إنّما بعثت لأتم مكارم الأخلاق" فإنّنا بحاجة أن نروض أنفسنا على هذه الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة التي لابد أن يفخر بها الإنسان العربي وتنحصر في البعد عن الفواحش والتزام العفة، وتجنّب العيب، والصبر على الشدائد والمكروه، والكرم في وقت الشدة وتقديم العون للضعيف، ونجدة الملهوف...

إن شعر الصعاليك في الجاهلية هو شعر مرتبط بالفن، لأنه شعر التوتر والتمرد على القبائل وعاداتها وتقاليدها بالاعتبار الصعاليك تمردوا على النظم الاجتماعية السائدة مختارين لأنفسهم طريقة مختلفة في العيش مع الطبيعة والحيوانات.

وعلى الرغم من تمردهم إلا أنهم كانوا يمتازون بأخلاق حسنة امتازوا بها عن غيرهم من الشعراء.

كان عروة بن الورد من النماذج العربية التي عكست العديد من الجوانب الأخلاقية فهو فارس من فرسان الجاهلية وصعلوكا من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد، يعتبر من أشهر كرماء الجاهلية وأشعاره دليل على ذلك، لذا فقد وجدنا أنّ موضوع مكارم

الأخلاق خاصة عند عروة بن الورد من أهم الموضوعات التي يجب دراستها والبحث فيها،واذا ساقنا الحديث عن الدراسات السابقة وجدناها تناولت الموضوع فئة قليلة، لأن شعر الصعاليك أغلبه تحدث عن المغامرات والمراقب، لذا جاءت الدراسات قليلة بعض الشيء، وهنا اخترنا موضوعنا المعنون ب: مكارم الأخلاق في شعر" عروة بن الورد" أنموذجا.

وقد كان من وراء اختيارنا لهذا الموضوع بعض الأسباب منها ذاتية وأخرى موضوعية فأمّا الذاتية تتمثّل في: تعلّقنا بالنماذج العربية وحبنا لعديد من الشخصيات التي كتبت أسماءها بحروف من ذهب أمثال: زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شداد وغيرها من شعراء وفرسان الجاهلية .

أما الموضوعية: أنّ عروة مثل لنا أهم الصفات الحميدة التي تحلى بها فقد تضمن شعره موضوع الأخلاق بصفة كبيرة.

وهذا ما دفعنا لطرح عدة تساؤلات كالآتي:

- كيف كانت أخلاق وأحوال العرب في الجاهلية.

-كيف تجلّت مكارم الأخلاق في شعر الصعلوك عروة؟

وهي أسئلة يمكن الإجابة عنها من خلال هذا البحث الذي اقتضت منهجيته أن تكون وفق **الخطة التالية:**

بأدناها بمقدمة وتمهيد، ثم قسمنا البحث إلى فصلين وخاتمة، فأما التمهيد فقد خصصناه للحديث عن الصعاليك بصفة عامة، ثم انتقلنا إلى الفصل الأول والذي يحمل عنوان ضبط المصطلحات فتطرقنا إلى مفهوم الصعاليك ولمحة وجيزة لعروة بالإضافة إلى أخلاق العرب في الشعر الجاهلي.

ومن ثم تناولنا في الفصل الثاني: الأخلاق في شعر عروة بن الورد أنموذجا.

أمّا عن المنهج المتبع، هو المنهج الاجتماعي باعتباره منهج ملائم بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج التاريخي في بعض المناحي.

واعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع في مقدمتها ديوان عروة بن الورد الذي يعد المصدر الرئيسي لمادة البحث إلى جانب مجموعة من المراجع نذكر منها: بعض الكتب المتعلقة بالجانب النظري ككتاب الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص لحسني

عبد الجليل يوسف، كتاب شعر الصعاليك منهجه وخصائصه للدكتور عبد الحليم حفنى وغيرها من الكتب التي أسهمت بشكل كبير في إضاءة طريق البحث.

وقد واجهنا صعوبات قليلة لكن لا يمكننا إنكار هذه الصعوبات هي التي تنمي البحث والتي تمكن الباحث من الوصول إلى النتائج.

وفي الختام نتقدم بأعظم الشكر لأستاذنا الفاضل المشرف"**قرايري عمار**" الذي رافقنا في هذا البحث والذي كانت آراءه وتوجيهاته الدقيقة بمثابة الشمعة التي أنارت سماء البحث كما نتوجه بالشكر والتقدير لعضوي لجنة المناقشة اللذان تحملا قراءة هذه المذكرة ومناقشتها جزاكما الله كل خير، وفي الأخير نأمل أن يكون بحثنا قد ساهم ولو بالقليل ونسأل الله عز وجل السداد والتوفيق.

تمهيد

تمهيد

تمهيد:

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات أبناؤها هم الذين يربط بينهم الدم والنسب ، وهم عمادها وهم رفيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة ويدخل فيهم الخلفاء الذين خلفتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائمهم وجناياتهم، ومن هؤلاء الخلفاء طائفة الصعاليك المشهورة.

–لقد كان الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي أفرادا متميّزين من حيث كونهم شعراء فرسان، فالشاعر رجل متميّز في مجتمعه، فإذا جمع إلى جانب ذلك الفروسية والقدرة على القتال فإنّه يكون قد جمع إمكانات الرفض لأي وضع لا ينفق وشاعريته من ناحية والفروسية من ناحية أخرى فهو يرفض الضيم والذل، ولا يقبل أن يعيش في مجتمع يشعر فيه بالذل والهوان وإذا كان رفض الذل والهوان يمثل سمة من سمات الفارس الجاهلي بوجه عام، فإنّه يمثل سمة جوهرية من سمات الشاعر الصعلوك، وقد ارتبط رفض الذل برفض الفقر عند الشاعر ولا شك أنّ ذلك كان سببا من أسباب التصعلك.

فالصعلوك الفقير يحبس الجوع ويصبر عليه صبرا شديدا، ويشرب الماء القراح، ويرد ألم الجوع، ويؤثر غيره بالطعام مخافة أن يحيا حياة ذليلة مهنية، لأن الموت خير من تلك الحياة الذليلة هجر المجتمع وعاش حيث الوحوش يواجه الموت الذي يحيط به.

–نقدم عروة بن الورد نموذجا للشاعر الصعلوك الذي ينتمي لقبيلة، فقد عاش حياة كلها هموم ومعاناة وكلها جفاء وازدراء يصور ذلك في قوله:

هُم عَيَّروني أَنَّ أُمّي غَريبَةٌ وَهَل في كَريمٍ ماجِدٍ ما يُعَيَّرُ

وَقَد عَيَّروني المالَ حينَ جَمَعتُهُ وَقَد عَيَّروني الفَقرَ إِذ أَنا مُقتِرُ[1]

فقد عيروه بأمّه الغريبة وعيّروه بفقره، فلما جمع المال،عيّروه به بأنّه جاء نهبا وسلبا ويعتبر عروة بن الورد سيد الصعاليك الذين كانوا يلجئون إليه كلّما قست عليهم الحياة ليجدوا عنده مأوى لهم حتى يستغنوا.

*لقد قدم الصعاليك مبررات كثيرة لخروجهم على المجتمع، وهي مبررات لا يصلح أن يهملها الدارس فإنّ من واجبنا أن نعطي لمبرراتهم اهتماما لأنها تمثل دفاع إنسان عن نفسه في موقفه من مجتمعه وخروجه على هذا المجتمع.

[1] عروة بن الورد، الديوان ص40.

الفصل الأول:

الصعلكة في شعر عروة وأخلاق العرب في الجاهلية

المبحث 01:مفهوم الصعلكة:

أــ لغة:

الصعلوك هو الفقير[1] الذي تجرد من المال وانسلخ من جلدها الأدبي، وصعاليك العرب تعني: ذؤبابها.[2]

تصعلكت الإبل، أي خرجت أوبارها.

صعلك الثريدة: جعل لها رأس، وقيل رفع رأسها.[3]

قال ابن سيدة(ت458) في المحكم والمحيط الأعظم: والصعلوك: الذي لا مال له وقد تصعلك.

ب. اصطلاحا:

لقد تعددت تعاريف الصعلكة واختلفت:

فالصعاليك في عرف التاريخ الأدبي هم جماعة مخالفين العرب خارجين عن طاعة رؤساء قبائلهم.

والصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية وبهذا يمكننا القول أن الصعاليك مجموعة فقراء، لصوص انتشروا في الجزيرة العربية، ولا يخضعوا لأعراض القبيلة وتمردوا عليها وتغنوا في أشعارهم بحرياتهم وأسلحتهم حتى صار شعر الصعاليك غرض من أغراض الشعر العربي في الجاهلية، هم طائفة من الشعراء امتهنوا الغزو والسلب والنهب ، هي حركة تثور على النظام القبلي، شارك فيها أفراد خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم.[4]

وآخرون من الجثيات أخذوا منها اللون فنبذهم المجتمع ظلما وهم أغربة العرب[5]

رغم اختلاف الآراء حول مفهوم الصعلكة والصعاليك إلا أن أغلبية العلماء اتفقوا عل حصر مفهوم الصعلكة بالفقر.

---

[1]الفيروز أبادي: القاموس المحيط،ج'4'،ص312.

[2]ابن منظور: لسان العرب. دار صادر، بيروت1968.ج2،ص456.

أبو الحسن إسماعيل بن سيرة المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد هذاوي. منشورات محمد علي ببضون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 2000م، ج2، ص416.

[4]مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب واللغة العربية: أدب قديم، جامعة بسكرة.

[5]ينظر محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة إشراف مطابع لأهزام قلبوب، ص264 .

طوائف الصعاليك:

لقد شكّل الصعاليك عصابات كانت تنتقل من مكان لآخر تقوم بالسلب والنهب والإغارة قصد الرزق. إذ كان الصعاليك لا يبالون بشي ولا يخشون أحدا على الإطلاق حتى أصبحوا قوة تخشى منها كل القبائل العربية. كما تشكلت عصابات الصعاليك من طوائف مختلفة تبعا لاختلاف الظروف والأسباب في الصعلكة، وبهذا يمكن تمييز في ثلاث طوائف رئيسية لعصابات الصعاليك ألا وهي:

1-طائفة الخلعاء والشداد: وهم أولئك الذين طردتهم قبائلهم وتبرأت منهم أن لا تتحمل تبعات تصرفاتهم، ولقد كان يعلن عن هذا التبرؤ في الأسواق فينادي بأن فلان خلعته قبيلة وبالتالي تصبح الصعلكة هي حلّه الوحيد لضمان حياته وكسب رزقه.

2-طائفة لأغربة السود: ويقصد بالأغربة السود أبناء أي الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، باعتبار أن الغرب يكرهون السواد فكان اللون حاصرا دون اعتراف آبائهم بهم.

3-طائفة الفقراء والمتمردين: ويغلب على هذه الطائفة الفقر حيث كان هو القاسم المشترك بين أفراد هذه الطائفة، فالفقر هو السبب الرئيسي للتمرّد الساخط على المجتمع ويمثل هذه الطائفة عروة بن الورد أمير الصعاليك، الذي كان يلتف حوله الفقراء العرب.

أسباب الصعلكة:

ولقد كان للصعلكة أسباب ودوافع، فهي لم تأتي من فراغ، وإنّما هناك ظروف ساعدت على ظهورها(اجتماعية، سياسية، اقتصادية).

1-أسباب اجتماعية:

أ-الفقر والجوع: إذا كان الفقر أسوء المعضلات التي واجهتها البشرية قديما وحتى حديثا إذ يولد الفقر آثارا شتى منها الثورة والجوع والموت، وغير ذلك، وما طرق الفقر دارا إلاّ وأهلكها ولا مجتمعا إلاّ وشتّته ولا أمة إلا وعرّضها إلى شتّى أنواع المعاناة والفقر[1]

كما كان الفقر حديث الشعراء الصعاليك، إذ تحدّثوا عن صراعهم مع الفكر ومواجهتهم له في سبيل سد الجوع ولنا في عروة بن الورد خير دليل إذ كان يواجه المخاطر والشدائد لكسب القوت له ولتابعيه.

[1] حسن جعفر نور الدين: موسوعة الشعراء المماليك، رشاد بوسي، لبنان، د/ط،ج1،ص162.

ب–الظلم: ويتمثّل هذا الأخير في معاناة الصعلوك داخل المجتمع من ظلم وبالتالي تقوم الثورة عليه متّخذا من الحيوانات المفترسة والصحاري القاحلة مجتمعا له، يقول الشاعر:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ

فَقَد حُمِّلَت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[1]

2–أسباب اقتصادية:

ولقد كان سيّد الأسباب الاقتصادية دوما اهتزاز النظام المالي بين وجود الفقر المدقع والغنى الفاحش، وبين النظر إلى الفقير على أنّه عبد، والنظر للغني على أنّه سيد.

وهنا نجد عروة بن الورد يرفض أن يكون الثراء أساسا للسيادة، فهو بهذا يرفض منطق المجتمع الذي يعيش فيه، يقول في هذا:

ما بِالثَراءِ يَسودُ كُلُّ مُسَوَّدٍ مَثرٍ وَلَكِن بِالفِعالِ يَسودُ[2]

فهو يرفض أن يكون الغني صاحب السيادة والجاه والفقير له المكانة المنحطة ويحاول أن يجعل أو أن يقدم مبدأ عكس هذا المبدأ بالأخلاق مثلا، ولكنّه وجد من الصعب أن يغيّر من الواقع ونظرة المجتمع للغني والفقير فيقول:

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ

إذ أنّ الناس دوما يرون الفقير أقَلَّ شأن ومكانة والغني له مكانة كبيرة ومرموقة رغم خصاله الذميمة فهو مغفور له كل ما يفعله[3].

وهنا يتّضح لنا أنّ المجتمع خالي من القيم الفاضلة، وهذا أحد أسباب التمرّد عليه، باعتبار أنّ الفقر عيب، والفقير دليل في مجتمعه.

لماذا ظهرت الصعلكة وأين؟:

لا يمكن أن نعزل الصعلكة على طبيعة الأرض، وبنية المجتمع ، وتفاوت الطبقات، أما طبيعة الأرض فأثرها واضح في ظهور الصعلكة، لأنّ جزيرة العرب هيئة البيئة الصالحة لانبثاق هذه الظاهرة، فجزيرة العرب شديدة الحرارة، قليلة الأمطار، فيها بقاع خصبة

---

[1] حسن عبد الجليل يوسف الأدب الجاهلي: قضايا، فنون، نصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص165.

[2] المصدر نفسه: ص184–185.

[3] المصدر نفسه: ص175–176.

وواحات ذات نخل،هذا التناقض بين القفار الواسعة دفع الصعاليك إلى مواطن الخصب يغيّرون ويذهبون من مراتع اليمن وواحات يثرب وما حولها، فعروة كان يغير على يثرب، والشنفرى جعل مغاره أدنى اليمن إلى الحجاز، والسليك ابن السلكة كان مغزاه أقصى اليمن.

وأما بنية المجتمع فقد أعانت على استشراء هذه الظاهرة، وقدمت للصعلكة المنبوذ والموتور، والخليع والطريد، لأن من تلفظه العصبية القبلية ، لا يجد أمامه غير طريقتين: الاحتماء بالولاء، أو اللجوء إلى الصحراء، وفي الولاء ما فيه من إذلال.

وانقسام المجتمع إلى أثرياء وفقراء حرّض المحرومين على التمرّد وأغراهم في أموال الأغنياء، ولو استطاع المجتمع القبلي أن يزيل ما بين هاتين الطبقتين من التناقض لضعفت الصعلكة، لكن تفاقم التضاد واتساع الشقة بين الضدين "دفعا طائفة الصعاليك المحرومة إلى الاغتصاب حتى لا تبغي من وراءه سوى أن تعيش".

وكان الصعاليك يتخيرون البقاع التي ينتجها الناس، والطرق التي تسلكها قوافل التجار، فينقضون انقضاض الصواعق، ثم يرتدون لما غنموا إلى الشعاب المخوفة والقمم المنبعة.

صفات الصعاليك:

تتمثل صفاتهم في الحقد على من يحتجن المال، والثورة على الغنى الفاحش والبخل والإمساك ومن صفاتهم شدة البأس في النزال والمصاولة، لأن مورده الأول في العيش والفتك، ومن جبن جاع، ومن لم يتصيّد السادة صيّده الطرائد أورد نفسه موارد التلف، ومن صفاته السرعة في العدو والخفة في النزو، ولذلك ضرب المثل بعدو السليك والشنفرى وربما اضطر الصعلوك وهو هارب إلى سلق الجبال والاعتصام بالقلل، ولذلك عرف الصعاليك بارتقاء أوعر الشعاب، والمنحدرات الصعبة المرتقى، ورما اتخذ من شعافها جنّته ومأمنه فنهد إليها أو حط عليها كالصقر، وعجز عنها الفرسان المدججون بالأسلحة، التقال الأجسام أما الصعلوك فإنه هزيل، سريع التوثب والتغلب، ستمرس بالتسلق.

ومن صفات الصعلوك الذكاء ، واليقظة الدائمة، والجرأة المتهورة، الاقتحام والاعتماد على النفس، والنشاط الجم.

أما أخلاق الصعاليك فمجموعة من النقائض، فهو في بعض الأحيان كريم النفس واليد، يؤثر غيره على نفسه، فيجوع ليطعم الفقير البائس، ويهزل ليسمن غيره، ويقبض يده عن زاد لا يؤاكله فيه ضيف، ويرى أعظم أمانيه في إطعام ما أعدله[1].

[1] غازي طليمات وعرفان الأشفر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجزائري: مكتبة الإيمان، دمشق، مكتبة دار الإرشاد، حمص، الناشر: مكتبة الإيمان، دمشق ومكتبة دار الارشاد ، حمص ط1، 1992م،ص80.

المبحث 02:عروة بن الورد العبسي:

نسبه:

هو عروة بن زيد ابن عبد الله بن ناشب بن هريم ابن لديم بن عود بن غالب بن خطيئة، بن بغيص بن الريث.بن نطفان بن سعد بن قس، بن نزار بن عبس، شاعر وفارس لا يعرف مكان مولد وتاريخه، أما وفاته فكانت سنة(30 ق ه، 594م)واحد من شعراء الجاهلية، الذين برزوا وخلدت أسماؤهم وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد ، كان يغزوا لإطعام الفقراء والمساكين ويحسن إليهم[1]

كان يلقب بعروة، لأنه كان يجمع الفقراء والمساكين حوله في الحظيرة، ويغزو لهم ويرزقهم مما يغنمه[2]

وقيل أنّه إذا أتى أناسا إلى قبيلته، وأصابهم جوع شديد جلسوا أمام بيته حيث إذا أبصروه قالوا أيا أبا الصعاليك أغثنا، فكان يرق لهم ويخرج معهم ليحصل على ما يشبع جوعهم ويكفهم[3]

هذا ما يدل على نفسه الكبيرة وحسن معاملته، فهو لا يغزو للنهب والسلب وإنّما يغزوا ليغن الفقراء والمستضعفين والمساكين.

والغريب أنّه كان لا يغزو عل كريم يعطي ماله للناس، بل كان يختار في إغارته على البخلاء، ومن لا يمدون للمحتاج في قبائلهم يد العون فلا يراعون ضعفا ولا قرابة، ولا حقّ من حقوقهم، وبلغ عروة من ذلك أنّه كان لا يؤثّر نفسه بشي على من يرعاهم من صعاليكه فلهم مثل حظّه سواء شاركوه الغارات التي شنّها وقام بها أو قعد بهم المرض والضعف[4].

نشأته:

في بلاد نجد وأطرافها ممّا يلي الحجاز والعراق حيث منازل قبيلة عبس وخيامهم، نشأ عروة بن الورد الشاعر الصعلوك والذي عرف بالكرم والمروءة والشجاعة وحصافة الرأي، ولقد اختلط عروة لنفسه خطّا واضح المعالم يتمثّل في الثورة على

---

[1] شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر، ديوان عروة بن الورد: دار الكتاب العربي، بيروت، ط2 ،1997، ص7-9.

[2] جواد علي المفضل، تاريخ العرب قبل الإسلام: جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993، ج4، ص411.

[3] المصدر نفسه، ص502.

[4] ينظر: ديوان عروة بن الورد، ص23

الأغنياء والبخلاء الأشحّاء وتقسيم أموالهم على الفقراء والضعفاء والمحتاجين وعابري السبيل[1]

عاش عروة معزّزا مكرّما في قبيلته ميهوب الجانب يعكس غيرة من الصعاليك وكان يحمل نفس كريمة جعلته مهذبا في ثورته لا يغزو للسلب والنهب وسفك الدماء، بل يعتمد في غاراته على من عرف بالشّح والبخل.

اشتهر عروة بالكرم واستفاضت أخبار سخائه وجوده بين القبائل العربية حتى تخطّت حدود زمانه ومكانه[2].

أخلاقه:

اتصف عروة بسيم وأخلاق أسهمت في دفعه إلى طريق الصعلكة وأهمها:

-أنه كان أبي عزيز النفس مما حلم عليه السير في طريق أعفي لآخرون وأنفسهم منه لما فيه من مشقّة بالغة وصراع مع الموت في كل حين كل ذلك حتى لا يضطر للتذلل للأغنياء وإراقة ماء وجهه لهم، وقد تحرث عن هذه الخصلة في نفسه كثيرا يقول:

وَإِذَا افْتَقَرْتُ فَلَنْ أَرَى مُتَخَشّعًا للأَخي غنَى مَعْرُوفُهُ مَكْدُودٌ

وَإِذَا أَغْنَيْتُ فَإِنّ جَارِي نَيْلُهُ منْ نَائلي وَمَيْسَرِي مَعْهُودٌ[3]

ففي هذه الأبيات يذكر أنّه مهما افتقر فلن يتدلل للأغنياء الذين لا يبذلون معروفهم إلاّ بعد أن يمتهنوا كرامة الفقير، ثم يتحدث عن كرمه وسخائه عندما يصيب غنى وتيسر أموره، فهو يبدل عطاءه ونائله لأهله وجيرانه دون منّ أو أذى ولعلّ هذا أباء العنيف هو ما جعل عروة يكره الفقر كراهية شديدة، وتحدّث عن حربه الطويلة معه والتي بدل فيها ما في وسعه من جهد مغيّرا نائي عن أهله، متجشما صعاب الغارة حتى لا يخرج كبريائه فقرا أو حاجة لأحد فيقول:

فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتى مِن حَياتِهِ فَقيراً وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقارِبُه

وَسائِلَةٍ أَينَ الرَحيلُ وَسائِلٍ وَمَن يَسأَلُ الصُعلوكَ أَينَ مَذاهِبُه [4]

---

[1] المصدر السابق:ص74.

[2] محمد أبو بكر:عروة بن الورد أمير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418، ص9، بتصرف.

[3] ديوان عروة، ص.72

[4] المصدر نفسه، ص15.

كراهية بالغة للفقر جعلته يفضّل الموت على حياة الفقر كما يجرّه من ذُلّ وخضوع لمولى لا يرحم ولا يعطي إلاّ بعد أن يأخذ مقابل عطية إذ لا وتجريحا لكرامة الفقير، لذا فعروة يتفوق للغنى ويسعى له بكل السبل لأنّ فيه خصالا يكرهه من التذلّل والخضوع للأغنياء خاصة وأنّه عاش في مجتمع يقدر فيه الناس بما يملكونه من مال وجاه وسلطة وإن كان سيّئ الطباع ذميم الخصال، فهو مغفور الذّنب ويحقرون الفقير وإن كان حس خترا وفي هذا يقول:

عيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ
وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَغيرُ
وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ
قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ[1]

وعروة الذي كان دائب السعي للغنى كامن يجد في خروجه للغارة والغزو راحة لنفسه لأنّه وإن لم يغنم مالا يكون قد أبلغ نفسه عذرها، وقد ذكر ذلك في أكثر من موضع من شعره منها قوله:

وَمَن يَكُ مِثلي ذا عِيالٍ وَمُقتِراً مِنَ المالِ يَطرَح نَفسَهُ كُلَّ مَطرَحِ
لِيَبلُغَ عُذراً أَو يُصيبَ رَغيبَةً وَمَبلَغُ نَفسٍ عُذرَها مِثلُ مَنجَحِ [2]

وهو يحث الصعاليك على أن ينهجوا نهجه في السعي والإلحاح في طلب الغنى وأسوء طوائف الصعاليك عندهم الذين يرضون بحياة الخمول والاعتماد على الغير والتقاط الطعام من المجاز والطرقات.

ومن دلائل كرمه قصته مع أصحاب الكنيف والتي سمي بسببها عروة الصعاليك، فقد روى أن عروة كان إذا أصاب الناس نسبة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، فكان يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته ثم يحفر لهم ويكنف عليهم الكنف*

ويكسهم ومن قوي منهم، إما مريض أو ضعيف تثوب قوته، خرج به معه وأغار وجعل أصحابه الباقين في ذلك نصيب، حتى إذا أخصب الناس وذهبت ألسنة الحق كل

[1] المصدر السابق، ص58.

[2] المصدر نفسه، ص21.

إنسان بأهله، وقسّم لهم من غنيمة كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله، وقد استغنى لذلك سمي عروة الصعالكة[1].

شعر عروة:

يمتاز بسهولة اللفظ ووضوح المعنى، إذ أقسناه بشعراء عصره، فهو يخلو من تلك الألفاظ العربية الوعرة التي تنتشر شعرهم كما يخلو من ذلك التركيز في عرض المعنى الذي كان سمة من سمات الشعر الجاهلي الذي كان يفتح الباب أمام كثير من الاحتمالات والتأويلات، وهي ظواهر تبدو طبيعية في عروة، لأنّها في حقيقة أمرها، انعكاس إحساساته بأنّه يقوم في حركة الصعلكة بدور الداعية، ومن هنا تميّز أسلوبه بهذه الشعبية التي تظهر في أكثر قصائده.

ويدور شعر عروة حول الدعوة إلى مذهبه، والحديث عن آرائه الاجتماعية والاقتصادية، وأهداف حركته التي يعمل لها، ووصف مغامراته هو وصعاليكه ومن أجل تحقيقها، وتحتل مشكلة الفقر والغنى حيّزا ملحوظا في شعره وعي ظاهرة طبيعية لأنّ هذه المشكلة الاقتصادية كانت هي المحور الأساسي الذي حول فلسفته في حركة الصعاليك الجاهلين، ومن الطبيعي أيضا أن يخلو شعره من تلك الموضوعات التقليدية التي دار فيها الشعر الجاهلي وشغل بها الشعراء الجاهليون سواء منهم شعراء القبائل أو الشعراء الذاتيين حتى المقدمات التقليدية فقد تخلص منها، واستبدل بها مقدمات فروسية تدور حول "**حوّاء الخليدة**" التي كانت محور كل المقدمات في الشعر العربي، ولكنه ليست حوّاء المحبوبة التي نعرفها عند الشعراء ، وإنّما هي حوّاء المحبّة الحريصة على فارسها التي تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي، والتي يقف أمامها دائما مغامرا بحياته مستهين بها من أجل توفير قدر من الحياة الكريمة لها ولأمثالها من أولائك المستضعفين في الأرض الذين خرج هو ورفاقه من أحبهم[2].

---

[1] أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ج3،د ط، ص924-94-25.

*الكنف: جمع كنيف وهي الحظيرة.

[2] يوسف خليل، الروائع من الأدب العربي، العصر الجاهلي، ج1.

لم يكن عروة بن الورد صعلوكا جواد فحسب، ولكنه كان كذلك من شعراء العرب المشهورين، وكان قومه بني عبس يقدرون شعره تقديرا كبيرا.(كان بنو عبس يقدرون عنترة حق قدره بطلا أكثر من شاعرا على حين كانوا يرون عروة أشعر الشعراء[1]

ويعد عروة أكثر الشعراء الصعاليك تناولا لأغراض مختلفة وقد وردت أشعاره في أشهر كتب **الأدب:** كالشعر والشعراء[2]

الكامل في اللغة والأدب[3]

والأمالي [4]

وغيرها من كتب الأدب.

موضوعات شعره:

لقد تناول عروة بن الورد عدة مواضيع في شعره لعلّ أبرزها وأهمها:

-**الفقر:** إذا كان هو العامل المشترك بين الصعالكة والسبب الرئيسي وراء تمردهم يقول في إحدى قصائده:

وَقَد عَيَّروني المالَ حينَ جَمَعتُهُ وَقَد عَيَّروني الفَقرَ إِذ أَنا مُقتِرُ [5]

-**الصبر على الفقر:** إذا كان عروة يلوم من يراه ضعيف متذللا مستلما للفقر معتمدا على الناس يقول:

فَإِذا غَنيتُ فَإِنَّ جارِيَ نَيلُهُ مِن نائِلي وَمَيَسَّري مَعهودُ [6]

-محاربة الفقر بالشعب لطلب الغنى: إذا رمى الصعاليك أنفسهم بالصحاري مواجهين الموت قصد القضاء على الفقر وطلب الغنى والرزق فيقول:

إِذا المَرءُ لَم يَطلُب مَعاشاً لِنَفسِهِ شَكا الفَقرَ أَو لامَ الصَديقَ فَأَكثَرا

وَصارَ عَلى الأَدنَينَ كَلّاً وَأَوشَكَت صِلاتُ ذَوي القُربى لَهُ أَن تَنَكَّرا

وَما طالِبُ الحاجاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ مِنَ الناسِ إِلّا مَن أَجَدَّ وَشَمَّرا

---

[1] محمد هاشم عطية، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي: دار العلوم العليا، مصر،1936، ط3،ج1، ص109.

[2] إبن قتيبة، الشعر والشعراء،ج2، ط 1902، ص676.

[3] المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب: تح يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر، 2004،ص92.

[4] لقالي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي: ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص200.

[5] ديوان عروة، ص47.

[6] المصدر نفسه،ص.27

فَسِر في بِلادِ اللَهِ وَالتَمِسِ الغِنى تَعِش ذا يَسارٍ أَو تَموتَ فَتُعذَرا [1]

-**المرقبة:** وهي موضوع انفرد به الصعاليك عن غيرهم، وهي مكان للترصد ومراقبة الأعداء، وهي مكان للتخطيط لنهب القوافل، وشن الغارات يقول عروة:

إِلّا أَنَل أَوساً فَإِنِّيَ حَسبُها بِمُنبَطَحِ الأَوعالِ مِن ذي الشَلائِلِ [2]

-وصف السلاح والخيل: إذ تناول الصعاليك في أشعارهم موضوعات عن السلاح والحيوان متفننين في وصفهم كون السلاح والخيل جزءان أساسيان في حياة الفارس الصعلوك يقول عروة في ذلك:

سَيُفْزِعُ بَعْدَ الْيَأْسِ مَنْ لاَ يَخَافُنَا
كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى السِّوَامِ الْمُنَفّرِ [3]

-**حديث الغارة:** هي جزء مهم في الصعلكة باعتبار أن الصعلوك هو الذي يغير على القبائل ويقطع طريق القوافل، فيبطش بقوته الغنائم، ولقد أبدعوا في وصف غاراتهم يقول عروة:

فَيوماً عَلَى نَجدٍ وغَاراتِ أَهلهَا ويَوماً بَأرضٍ ذَاتِ شَتٍّ وعَرعَرِ [4]

مميزات شعره:

1-امتاز شعره باللطف والرقة: شعره يمتلأ بجمال المعاني والطراوة والإيقاع العذب والبعد عن الغريب المستهجن[5]

2-قوة تأثيره في النفس: إذ يمتاز شعره بقوة التأثير وبث الحماسة في النفس لذا كان العرب يتغنون به في حروباتهم.

3-النزعة التجديدية: لم نر من شعر عروة وقوفا على الأطلال ولا بكاء على الدّيار، ولا تشيب بالمحبوبة الظاعنة، ولا وصف للجواد أو الناقة إذ نجد عروة خرج عن النمط القديم التقليدي، وابتعد شعره إلى أغراض إنسانية[6]

---

[1] المصدر السابق، ص56.

[2] المصدر نفسه،ص87.

[3] المصدر نفسه، ص46.

[4] المصدر نفسه، ص46.

[5] عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة البشرية السامية للكتاب،1987،دط، ص116.

[6] المصدر نفسه، ص116.

4-الأسلوب الشعبي: أسلوب عروة سهل اللفظ، واضح المعنى لا تكلف فيه ولا تصنع[1]

وفاته:

عاش عروة حياة مليئة بالكفاح والعطاء والحركة، الذؤوبة مغيّرا نائبا تارة، ومقيما بين أهله ينفق ويقرى ضيوفه ويبرأ أهله تارة أخرى، زعيما للصعاليك نصبوه مسؤولا عنهم يلجئون إليه كلما ضاقت بهم الحال، وقست عليهم الحياة يفعل كل ذلك بدافع كريم أخلاقه ومروءته، وراجيا لثناء يخل اسمه إلى أمنية تغنّى بها في شعره[2]

ذَرِينِي ونفسِي أُمَّ حَسَّانَ إنَّنِي بهَا قبل أَلَّا أملِكَ البيعَ مُشتَرِي

أحاديثَ تبقَى وَالفَتَى غيرُ خالِدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامةً تَحت صَيِّرِ [3]

ولقد تحقق له ما تمنّاه فبقى ذكره وكرمه وشعره بعد أن وافاه الآجال سنة(616م)[4] يقول فيه عبد الحليم: "وكان موته فاجعة لإخوانه الصعاليك وأصدقائه المقربين أمثال أبي فراش الهذلي الذي كان بعد عروة ساعده الأيمن ويرى فيه خليفة له على أهله بعد موته[5]. وقيل انّه توفي مقتولا في إحدى تلك الغارات التي كان يقوم لإحضار الطعام للفقراء، وكان هذا قبل الإسلام بستّ وعشرين سنة في سنة (594م).

وبعض المصادر قالت (607م)وقد جسدت أعماله في مسرحية ومسلسلات وأفلام كثيرة منها فيلم عنترة بن شداد وأيضا مسلسل عروة بن الورد الذي لخّص قصة حياته وعرضها في إطار سف [6].

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: دار المعارف، دط، ص330.

[2]الصورة البيانية في شعر عروة بن الورد: دراسة تحليلية نقدية، بحث تكميلي لنيل درجة ماجستر الأداب في اللغة العربية بلاغة ونقد، ص90.

[3]ديوان عروة ص69.

عبد الحليم حفنى: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة البشرية العامة للكتاب 1987،ص116.

[5]أبو الوفاء محمود أبو الوفاء، المحقق: أحمد الزين – محمود أبو الوفاء: شرح وتحقيق ديوان الهذلين، دار الكتب المصرية، سنة النشر1965، ص136.

[6]شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت، ص6

المبحث03:معنى الأخلاق لغة واصطلاحا:

معنى الأخلاق لغة:

الأخلاق في اللغة جمع خُلُق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها. فقد ذكر ابن منظور: الخلق هو الدين والسجية[1]

وهو مأخوذ من مادة(خ ل ق) الدالة على تقدير الشيء.

-عرّف ابن فارس الخلق هو السجية، لأن صاحبه قد قدر علي، يقال فلان خليق بكذا أي قادر عليه وجدير به، والخلاق: النصيب لأنه قد قدر عليه، يقال فلان خليق بكذا أي قادر عليه و جدير به . و الأخلاق: النصيب لأنه قد قدر لكل أحد نصيب[2]

-أما الراغب الأصفهاني عرّف الخلق في [المفردات]،الخَلْقُ والخُلْقُ والخُلُقَ في الأصل معناها واحد، وحقيقة الخلق عنده هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، سمي بذلك لأنه يصير كالخلقَة فيه[3]

أما اصطلاحا:

فقد تعددت التعريفات حول مفهوم الأخلاق في الاصطلاح فمنهم من قال: فمثلا الجرجاني عرّف الأخلاق: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة ،تصدر عنها أفعال بسهولة و يسر من غير الحاجة إلى فكر وروية ،فإن كان الصادر عنها لأفعال حسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خَلْقًا سيْئًا"[4]

الهيئة :بمعنى الملكة فالإنسان فيه صفات راسخة بالنفس تكون منبع لأفعال الخير أو الشر أما ابن مسكويه في كتاب " تهذيب الأخلاق" يعرّفه بأنّ:"حال للنفس داعية لها لأفعالها من غير فكر ولا روية."[5]

بمعنى هذا أنّ الأخلاق مغروسة في الإنسان.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، طبعة جديدة ومحققة، 2000، ج5، ص140.

[2] ابن فارس، تح عبد السلام محمد هارون : مقاييس اللغة ج 2،ص214.

[3] الراغب الأصفهاني، مح صفوان عدنان داوودي: المفردات،ط4، 2009، ص 141.

[4] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح محمد صديق المنشاوي: التعريفات، دار الفضيلة ، دط، ص 101.

[5] ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تح عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص265.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى:"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" [الآية]4، سورة القلم.

أما الجاحظ فيعرّف الخلق: "هو العادة والسجية والطبع والمروءة والدين"[1]

ومنه يمكن أن نستنتج أن الأخلاق:

مجموعة القواعد التي تحدّد الإنسان ما ينبغي أن يكون عليه سلوكا اتجاه الآخرين أي من طبيعة ومجتمع يكتسبها الإنسان من انتمائه إلى مجتمع معين زمانا ومكانا، كما يكتسبها المجتمع من مصادر متعددة مطلقة كالدين أو نسبه كالعرف الاجتماعي أو العقل.

أهمية الأخلاق:

تضافرت النصوص من كتاب الله عز وجل على الأمر بالتخلق والأخلاق الحسنة ونصت على الكثير منها فمن ذلك قوله تعالى. "إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي" [الآية90] سورة النحل.

وقوله كذلك في سورة الأعراف الآية [199]:" خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ "

كما أوصانا الله سبحانه وتعالى بالأخلاق الحسنة والتحلي بالخصال الحميدة كما جاء في النص القرآني: "يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسقٌ بنبإ فَتَبَيّنُوا أن تُصيبوا قوما بجَهَالَة فَتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُم نَادمينْ". [الآية] 2 سورة الحجرات.

ونهانا سيد الخلق عزّ وجل عن الأخلاق المذمومة ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات :"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ(12) " [الآية] 4 سورة الحجرات.

-الحبيب المصطفى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالالتزام بالأخلاق الحسنة والامتثال به، فعن أبي ذرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اتَّق

[1] عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005، ص68

الله حَيْثُمَا كنت، واتَّبعْ السّيّئة الحسنة تمحها،و خالق الناس بخلق حسن[1]

وبهذا يمكن أن نتوصل من خلال ما ذكر سابقا في القرآن الكريم أنّ الأخلاق لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان ولها أثر في سلوك الفرد، تزرع في النفس الرحمة والعفة والإخلاص والتواضع والعدل وغيرها من الصفات الحميدة ، وهي بالنسبة للفرد أيضا أساس النجاح و الفلاح وخير مثال و دليل على ذلك قوله عز وجل :"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى " [الآيات] 14-15سورة الأعلى.

التزكية بمعنى :تهذيب النفس باطنا وظاهرا، في حركاته وسكناته.

أما بالنسبة لأهمية الأخلاق في المجتمع فهي أيضا الأساس قال تعالى:" وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) " [الآية1-3] سورة العصر.

وبهذا نتوصل إلى أن الأخلاق شيء مهم في الفرد و المجتمع لابد من التّحلي بها لما فيها من أهمية كبيرة .

[1] القسم العلمي بمؤسسة الدرر النسبية، مقدمات في الأخلاق الإسلامية، الإحسان ــالألفة، موسوعة الأخلاق، ج1، ص14.

المبحث04:أخلاق العرب في الجاهلية

تباينت الأخلاق عند العرب تباينا كبيرا، مثلهم في ذلك مثل باقي شعوب الأرض فكما فيهم رذائل أخلاق تنكرها الفطرة السليمة، تحلو أيضا بسجايا وشمائل طيبة، وكانت من هذه السجايا:

1-**الكرم:** لقد كان الكرم من أبرز وأهم الصفات التي حرص العرب على التحلي والتفاخر بها، وكان لبيئتهم وظروفهم أثرا بالغا في تدعيم هذه الصفة عندهم، ففي كثير من الأحيان فد يجد العربي نفسه في أثناء سفره وترحاله وحبذا في وسط صحراوي جذب وصحراء قاحلة لا ماء ولا طعام وليس إلاّ السماء والأرض عندئذ لا يكون أمامه مغرسون النزول ضيف على أهل الخيام المتناثرة وهنا يكون استقبال الضيف وإكرامه، وبهذا أصبح إكرام الضيف والقيام بحقه واجبا من واجبات الجاهلية.[1]

وكان من أشهر أجواد العرب حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل في الكرم والجود من صغره حيث يقال أنّه خرج يوما يراعي إبله وغنمه مرّ به بعض الشعراء مثل النابغة الذبياني وغيره، فأكرمهم وأحسن ضيافتهم وقبل انصراهم فرّق عليهم غنمه وإبله. يقول:

نعْمَّا مَحَلُّ الضَّيْف، لَو تعلمينَهُ بلَيْل، إذا ما استشرفته النوابحُ

تقصّى إلى الحَيُّ، إمّا دَلَالَةً عليّ، وإمَّا قَادَهُ لي ناصحُ[2]

بمعنى أنّ الكرم هو تصرّف أو حالة من كون المرء كريما، وفيه يتّسم المرء؛ بالطيبة والسلوك المتسامح، والتصرّفات العطوفة والاهتمام بالآخرين أي شخص كان.

التحية وعبارات الترحيب لها أثرا كبيرا وعميقا في نفسية الضيف يقول الأعشى:

أهلاً وسهلاً ومرحباً أرى رحما قد وافقتها صلاتها

أثَار لَهَا من جانب البَرْك غُذْوَةً هُنَيْدَة يحدوها وها إليها رُعَاتُها[3]

فعبارات الترحيب نجدها عند الكثير من الشعراء الجاهليين حيث كان الأعشى دائما يرحب بضيوفه ويستقبلهم بأجمل عبارات الترحيب.

-كذلك خميس التلمساني يعتبر واحدا من الشعراء الذين ذكروا صفة الكرم في قصيدته

---

[1] المبارك فوري: الرحيق المختوم، نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين، ص336.

[2] حاتم الطائي: الديوان شر أحمد رشاد، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط3،2002، ص12.

[3] ديوان الأعشى: دار صادر بيروت، ط1، ص32.

التائية، التي يتحدّث فيها عن فضائل ونعم صديقه ابن الحكيم حيث يقول:[1]

خَوَّلَتْني ا لم تَسَعْهُ يَدي فأصابني من كَثْره غَامَتُ
يَعْيَ لسَاني أنّها عظمتْ ويضيقُ عَنْ شُكْري لها الوقت
بَالَغتُفي بري ولا نسب أَدْلي إلَيْكَ به ولَا متُّ
بُوركْتَ من رَجُل برُؤْيَته يُومي الضّنّ و يُعَالي الغَتُّ
لَو سَارَ في بَهْمَاء مقفرة من حيث لا ماء ولَا نَبَتُ

يذكر الشاعر لخميس التلمساني قيمة خلقية سامية لا توجد عند كل إنسان إنّما يمتاز بها القلة؛ منهم صديقه ابن الحكيم فأياديه بمثابة المطر الغزير الذي ينزل على الأرض الجافة فيحييها من جديد بمختلف ألوان النبات والحشيش.

وبالتالي نخلص بأنّ الكرم من الأخلاق العريقة القديمة التي عرفت مند الأزل تميز بها العديد من الشعراء الجاهليين فهو صفة خلقية ينتصر بها على شح النفس يتميز بها صاحبه بالجود وكثرة العطاء في وجود الخير.

-الإحترام:

يعتبر احترام الغير سواء كان كبير أو صغير خاصة احترام النساء من أهم الخصال الحميدة ومن بين الأخلاق التي كان يتمتع بها العديد من الشعراء في الجاهلية.

كانوا يحترمون النساء بشكل كبير واحترامهم لحرمة البيوت فكانوا يستأذنون عند دخول بيوت الغير، ولمّا خالف بعض الأعراب هذه القاعدة أنكر القرآن عليهم ذلك وأمرهم بالالتزام بالاستئذان فقال:" لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) " [الآية27] سورة النور.

-أيضا احترام كبير السن فلا ينادونه باسمه، وإنّما بكنية ويبادرونه بالتحية ، وفي مجالسهم يقوم القاعد للقادم، ويوجه له التحية لاسيما إذ كان كبيرا في السن أو شريفا وله منزلة[2]

فاحترام الغير كان بالنسبة للشعراء الجاهليين من أهم مكارم الأخلاق التي لابد أن يتحولن بها جميعا.

---

[1]عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله خميس، مطبعة ابن خلدون تلمسان، الجزائر ، ط1، 1945ص72-73.

[2]أبو بكر الجزائري: الحبيب محمد، ص32-33.

كذلك احترام وحماية الجيران والحفاظ عليهم، فلطالما تغنى العربي بنصرة الجار والاهتمام به يقول عنترة:

سَكَتُ فَفَرَّ أعدائي السُّكُوتُ وَظَنُّوني للأَهْلي قَدْ نَسيتُ
وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَات قَوْم أَنَا في فَضْل نعْمَتهمْ رَبيتُ
وإن دَارَتْ بهم خَيْلُ الأَعَادي وَنَادَوني أَجَبْتُ مَتَى دُعيتُ[1]

فعنترة بن شداد لم يسكت عن حقوق القبيلة التي عاش فيها والدفاع عن حقوق أهله.

كما يقول :

وَإنّي لَأَحْمي الجَارَ من كُلّ ذَلَّة وَأَفْرَحُ بالضَّيْف المُقيم وَأَبهَجُ[2]

-الشجاعة والألفة والثقة وعزة النفس:

الشجاعة من أروع وأنبل الصفات التي تحلى بها العرب في الجاهلية.

"الشجاعة لصيقة بالبطل، لأنّها العماد الذي تقوم عليه شخصيته وتتوقف شهرته، وعدّه بطل حقيقي، ومعناها شدة القلب ورباطة الجأش، وقوة العزيمة والثبات عند اليأس"[3]

-بمعنى الشجاعة أهم سمة للأبطال، فلا يمكن تصور بطل بدونها لأنّها الأساس التي تقوم عليه الفضائل.

تحدث العديد من الشعراء في الجاهلية عن الشجاعة واعتبروها من أبرز القيم لما لها من أثر كبير في حياة الإنسان العربي ومعاشه ذلك أن حياة البدور أشد وأقوى منها عند الحضر.

وقد فسر ابن خلدون ذلك في مقدمته تحت عنوان "أهل البدو" أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر[4]

أي أن الشجاعة مظاهر من مظاهر تجلي القوة في النفس من مظاهر الشجاعة مقاتلة ومصارعة الفارس الشجاع لخصمه و حرصه على عدم قتله.

من أبرز الشعراء وأهم الشجعان الذين عرفوا بقوتهم وصلابتهم "عنترة بن شداد" من منّا لا يعرفه كيف لا وهو الذي حصل على تنويه وحب النبي صلى الله عليه وسلم،

---

[1] عنترة بن شداد العبسي: الديوان، ص38.

[2] المصدر السابق، ص208

[3] علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، ص94

[4] ابن خلدون، المقدمة، دار يعرب، ط1377 م ،ص125

ففي العصر الجاهلي لم تعرف الشعوب أو الجيوش حينما سوى السيف و الأسلحة، حيث كان عنترة العبسي فارسا مغوارا لا يخشى الحروب وكانت الكرامة عنده أهم شيء في حياته، حيث يقول:

أَنَا في الحَرْب العَوَان غَيْرُ مَجْهُول المكَان
أَيْنَمَا نَادَى المُنَادي في دُجَى النَّقْع يرَاني
وَحُسَامي مَعَ قَنَاتي لفعالي شَاهدَان
أنّني أَطْعَنُ خَصْمي وَهُوَ يَقْظَان الجَنَان
أَسْقه كَأْس المَنَايَا وفرَاهَا منْهُ دَاني
أُشْعلُ النَّارَ ببأْس وَأَطَاهَا بجَنَاني [1]

فعنترة بن شداد له مكانة كبيرة في الحرب فهو حاضر من أجل أن يعذّب خصمه فهو أشجع الناس وأشدها .

إن تقديم الذات شيء ثابت بداخلنا، بينما يتمم في الحقيقة بطبيعة مرنة ويختلف باختلاف الجوانب في حياتنا وعندما ينهار كل شيء فجأة كالعمل والحب و المظهر الخارجي والصداقات والعائلة فإنّ شعورنا بقيمتنا يختل في الحال[2]

وبالتالي الشجاعة والألفة وعزة النفس شعور نابع من نفسية الإنسان في تقديره لذاته وتعظيم صفته.

-الحكمة:

فن من فنون النثر العربي تهذف إلى النصح و الإرشاد والموعظة.

يعرّفها ابن سينا: "استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة البشرية"[3]

-بمعنى أن الحكمة ما هي إلا استخلاص لخبرات الإنسان وتجاربه في الحياة حيث أنّها تتضمن النصح والإرشاد.

-يقول غازي طليمات وعرفان الأشقر أن الحكمة تهدف إلى معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع والمعبر عنه بمعرفة الإنسان وما عليه، أو هي

---

[1] عنترة بن شداد العبسي: الديوان، مطبعة الآداب ، بيروت ،1893،ط4، ص199.

[2] إبراهيم الفقي: الثقة والإعتزاز بالنفس، دار النشر والتوزيع فري، دط، دت، ص11.

[3] ابن سينا: عيون الحكمة، حققه فقدمه عبد الرحمان بروي، دار العلم، بيروت، لبنان،ط2، 1910، ص31.

معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به، والحكمة في الشعر هي تلخيص الفكر العميق باللفظ في المعنى أو تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة[1]

-وبالتالي الحكمة هي العدل والكلام الموافق للصواب والحق، يعد زهير بن أبي سلمى من أبرز ما عرف بهذه الصفة" الحكمة"

الذي يمثل فئة المؤمنين بالحياة الأخرى ونظر إلى الحياة نظرة تأمل، يقول:

أَلَا أَبلِغ الأَحْلَافَ عني رسَالَة وذُبْيَانَ: هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مَقْسَم

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَهَ مَا في نُفُوسكُم لِيَخْفَى ومَهْمَا لا يَكْتُم اللَهُ يَعْلَم

يُؤَخّر فَيُوضَعْ في كتَاب فَيُدَخَّر لِيَوْم الحسَاب أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَم[2]

فالحكمة كانت موجودة وتخلق بها الجاهلي.

-الرفق بالحيوان :

الحيوان حضي بمكانة عالية وعظيمة من الحب والعطف والاهتمام والرعاية من طرف الإنسان الجاهلي وذلك لما له من أهمية كبيرة في عيشته وحروبه وتنقله[3]

فالعربي في الجاهلية اهتم بالحيوان اهتماما بليغا لأن له أهمية كبيرة فهو الذي يعتمد عليه في عيشته فمثلا يتغذى من لبنه ويلبس من صوفها ويحارب في الغزوات والحروب بواسطته ، فيعتبره أنيسا وصديقا له.

لعلّ أبرز الحيوانات التي اعتنى بها الجاهليون" الخيل" فهي زينة الفارس تكون سنده في الغارات وسلاحه في الغزوات وكان لكل فرس اسم خاص بها فهناك من يستعملها في الطرب والغناء واللهو فمثلا فرس امرئ القيس:

وقد اغتدى والطير في وُكُنَاتهَا بمنجرد قيد الأوباد هيكل

مكَرّ مفَر مدبر معا كجُلْمود صَخْر حطّه السيل من علّ

وهناك من يستعمل الفرس في القتال والفروسية حيث ارتبطت الفروسية بالحرب منذ أن وعي الإنسان دور الخيل فيها حيث نجد أيضا الإسلام قد شجّع الفروسية كما جاء

---

[1] غازي طليمات وعرفان الأشقر:الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، وفنونه، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، دط،2002، ص.259

[2] زهير بن أبي سلمى: الديوان،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1960 ص67-68.

[3] حسين: أدب العرب في الجاهلية، مؤسسة هنداوي، ط 1927، ص156.

في قوله تعالى:"وأَعِدُّ لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتمْ من قُوة رباط الخيل تُرْهِبُونَ عَدُوَ الله وَعَدُوَّكُمْ" [الآية61] سورة الأنفال.

فمن هذه الآية الكريمة نخلص إلى أنّ الفروسية أمر مقدس عند العرب و شجع عليه الإسلام.

تناول الشعراء الجاهليون كل ما حولهم من حيوان في الصحراء فوصفوا الطيور كالباز والعقاب والنعامة واهتموا بها، حتى نجدهم يشبهون المرأة ببعض صفات الحيوان مثلا كالغزلان، والمرأة الجميلة كالظبية في جمال عنقها ...

تغنى العرب أيضا ب" الناقة" لأنّها كانت رفيقة سفره ومصدر رزقه.

طرفة بن العبد وقف عندها وقفة طويلة متأمّلة في معلّقته المتمثلة في ثمانية وعشرين بيتا فقال:

وإنّي لأَمْضي الهَمَّ عندَ احْتضَاره بعَوْجَاء مِرْقَالَ تَرُوح وتَغْتَدي

أَمُونُ كَأَلْوَاح الأَرَان نَسْأَتَها عَلَى الحُب كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُد[1]

ومن هنا يتّضح لنا أنّ الناقة كانت واسطة أكيدة للرحلة والوصول إلى الحبيبة.

-الصبر:

قال تعالى:"وبشّر الصَّابرين الذين إذا أَصَابَتْهُم مُصيبَةٌ قَالُوا إنّا لله وإنا إلَيْه رَاجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمته وأولئك هم المهتدون"

الصبر مفتاح للفرج وهو رغم صعوبة طريق الفوز والنجاح و هناك العديد من الآيات القرآنية ذكر فيها الصبر وجزاء الصابرين كما اهتم الشعراء والحكماء بذكر الصبر في أشعارهم.

ففي العصر الجاهلي مثلا تحمّل عنترة أذى قومه ومعايرته بالسواد فسواد البشرة لا يعني أنّ الشخص لا يتحلى بالأخلاق وبالصفات الحميدة، فابن شداد العبسي ذو أخلاق كريمة يتحلى بها، صبر في المعارك وتحمل شدائد الحروب والأسفار حتى وصل إلى مرتبة الفوز والعلو.

[1] حفني الحاج حسن: أدب العرب في الجاهلية،ص156

يقول عنترة بن شداد العبسي:

لَعَمْرُكَ إنَّ المَجْدَ وَالفَخْرَ والعُلَا ونَيْلٌ الأَمَاني وارْتفَاعُ المَرَاتب

لمَنْ يَلْتَقي أَبْطَالَهَا وسَرَاتَها بقَلْب صَبُور عنْدَ وَقْع المَضَارب[1]

فالصبر سلاح تسلّح به الجاهلي على الشدائد والصعاب والعرب الجاهليون تميّزوا بقدرتهم على تحمّل أشدّ أنواع الظروف الصعبة فمجّدوا الصبر وحثوا على الالتزام والتمسّك به.

فعروة صبور متجنّد، طموح كثير الأسفار، يفضل المسالك الوعرة، يبيت وحيدا امتلك الأرض الواسعة، يحي مع الوحش ويعيش مع الطبيعة، يعرف طريقه في الليل المظلم ، مهتديا بالنجوم، سريع الجري يقض فإذا نام ظل قلبه يقظا يحس يحرس.

-الوفاء بالوعد:

حضت آيات الكتاب المبين على الوفاء بالعهد في مواقف عديدة منها قوله تعالى:"بلى من أوفى بعهده واتّقى فإنّ الله يحب المتقين"سورة آل عمران: الآية76.

"والمَوْفُونَ بعَهْدهمْ إذا عَاهَدوا"سورة البقرة: الآية177.

كان العرب في الجاهلية إذا وعد أحدهم وعدا أوفى به، وقفت معه قبيلته حتى ولو كلّفه ذلك أعز ما يملك من متاع الدين.

-وقد تعدّد الشعراء في هذا الميدان و وأحسن مثال للوفاء السموؤل بن عمادي الذي رضي أن يذبح ابنه وهو ينظر إلى أن يخفر دمّته ويسلّم أدرع امرئ القيس- وقد كان استودعها عنده حين خرج إلى قيصر الروم-لغيره أورثته هذه القصة الرائعة معروفة وفيها يقول السموؤل :

وَفَيْتُ بأَدْرُع كَنَدي إنّي إذَا مَا خَانَ أَقْوَامُ وَفَيْتُ

وَأَوْصي عَاديًا يَوْمًا بألَا تَهْدم يَا سموأل ما بَنَيْتُ

بَنَى لي عَاديًا حَصْنًا حصينًا ومَاءَ كُلّ مَا شئْتُ اسْتَقَيْتُ[2]

فالسؤال هنا لم يسلم الدرع للحارث الغساني وفضّل قتل ابنه على أن يعطي الدرع لأنّه لامرئ القيس وهنا كان الوفاء بالشيء أي الحفاظ على الأمانة.

---

[1] عنترة بن شداد العبسي:الديوان، ص37

[2] ديوان عروة بن الورد والسموؤل بن عاديا، ص14

الكلمة بالنسبة للرجل في العصر الجاهلي إذا أنطقها تكون عهدا يجب عليه الوفاء به، فالوفاء من أخلاق العرب الأصلية، يقول شريح بن عمران اليهودي:

بجُلَى منْكَ إذَا مَا خُنْتَني لَيْسَ لي في وَصْل خَوَان أَرَبْ

لا أُحبُّ المَرْءَ إلاَّ حَافظًا رَبْقَهُ العَهْدُ عَلَى كلّ سَبَب[1]

أما الأعشى عرف بأداء الأمانة إلى أهلها ولو كلفه ذلك حياته يقول:

وَلا تَعدْن النَّاسَ مَا لَسْتُ مُنْجَزًا ولا تَشْتَمْنَ جَارًا لَطيفًا مُصَافيًا[2]

وقد حفظ التاريخ أمثلة كثيرة تروي عن تمسك العربي بهذه الصفة الحسنة، فكان يفخر بها ويذم من لا يتمسك بها.

الاعتذار:

صفة حميدة على الإنسان أن يتحلى بها، فهي تعمل على تجديد العلاقات، وقد اشتهر النابغة الذبياني في اعتذار بأنه إلى "النعمان بن المنذر" ملك الحيرى وقصيدته المشهورة:

أتاني أبيت اللعن أنّك لمتني وتلك التي اهتم منها وأنصب

حلفت، فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله لا امرئ مذهب

ولئن كنت قد أبلغت عني وشاية لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنّي كنت أمرأ لي جانب من الأرض فيه مشراد ومطلب [3]

في هذه الأبيات يستعطف "النابغة" "النعمان" ويستجلب رضاه ويكذب ماقيل عنه وأنّ الواشي غشاش وكذاب.

---

[1] أبو تمام ،ت مصطفى عليان ،الحماسة،دار الكتب العلمية ،ج1،ط1986 ،ص101

[2] مختارات الشعر الجاهلي.

[3] النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق عبّاس عبد الستار،دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996، ص27

الفصل الثاني:

تجليات مكارم الأخلاق في شعر عروة بن الورد

تجليات مكارم الأخلاق في شعر عروة بن الورد:

الأخلاق هي الفضيلة التي تعتبر صفة حسنة وجميلة يتميز بها الإنسان عن غيره، وعليه يجب التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة جوهر من جواهر الإسلام فقد

وضع الإسلام للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها.

ومن أبرز الشعراء الذين يجد فيهم القارئ روح هذه الخصال الحميدة النبيلة ومكارم الأخلاق نجد عروة بن الورد فارسا من فرسان الجاهلية وصعلوكا من صعاليكها المعدودين المقدّمين لأجواد.

وعندما نقرأ ديوان عروة فإنّنا نجده ينزع نزعة أخلاقية من خلال مكارم الأخلاق التي اتّصف بها والتي نذكر منها:

1-الجود:

إنّ طرق التصرف كالضيافة نحو الضيوف والجود نحو المحتاجين والفقراء أصبحت بمرور الوقت واجبا أخلاقيا ينبغي على الرجل الشهم النبيل أن يقوم به أو القبيلة كلها أن تتحلى به ، وإلاّ فإنّهما سيكونان عرضة للهجاء.

لذلك نظر الشعراء إلى قيمة الجود بعين الاعتبار والتقدير وأشادوا بها.

إن الجود عنصر أساسي من عناصر الكرم .

يقول حاتم الطائي مفتخرا بجوده:

أُشَاوِرُ نَفْسَ الجَوْد حَتَّى تُطيعْني وَأَتْرُك نَفْسَ البُخْلَ مَا أَسْتَشيرها[1]

بمعنى أن الجود مفهوم مناقض لمفهوم البخل.

يقول أمية بن أبي الصلت مشيرا إلى رسوخ جود ممدوحة مهما تعاقبت الأيام والليالي:

كَريمٌ لا يُغيرُه صَبَاحٌ عن الخُلُق السَّنيّ ولا مَسَاءُ[2]

أبي الصلت يفخر بقومه الذين يتصفون بالجود مهما امتد الزمن وتعاقبت السنون.

---

[1] حاتم الطائي: الديوان، دار صادر ،1981، دط، ص111.

[2] أمية بن أبي الصلت: الديوان،دار الفكر اللبناني ، بيروت، ط1، 2010، ص3.

عروة بن الورد من أبرز ما تميّزوا بالجود، فإذا أصاب الناس شده وتركوا في دارهم المريض والكبير يجمع أشباه الناس من عشيرته ويكنف عليهم الكنف ويكسوهم وهذا ما جعله يقول:

إلاّ أنّ أصحاب الكنيف رأيهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا

ولقد كانت عبارات الترحيب والضيافة موجودة ومتنوعة عند عروة الذي كان يحسن استقبال الضيف بشهادة من زوجة أم مالك فيقول:

سلّي الطّارق المعتر يا أمّ مالك إذا ما أتاني بيت قدري ومجزري

أيُسْفر وَجَهي إنّه أول القرى وأبذل مَعْروفي له ذون منكري[1]

يعني أنّ الضيافة كانت منذ البداية حلّا ملائما لمشاكل سيمتها طبيعة الأرض والبنية الاجتماعية والحالة الاقتصادية.

لقد كان هذا الحل في عين المجتمع الجاهلي ضروريا لذلك نظر الشعراء إلى قيمة الضيافة بعين الاعتبار والتقدير وأشادوا بها وهذا لا يجوز للمرء أن يقلل من قيمة الضيافة وحسن استقبالهم.

عروة يقول:

لعل انطلاقي في بلاد ورحلتي وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوما إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل[2]

فعروة يضع لنفسه تقليدا أن لا يغير إلا على الأغنياء أشحاء النفوس الذين لا يبرون من حولهم ولا يقدمون القرى لمن يطرقهم.

2-الحق جاهد:

الأخلاق مجموعة من النقائض فعروة في بعض الأحيان كريم النفس واليد، يؤثر غيره على نفسه،فيجوع ليطعم الفقير البائس، ويهزل ليسمن غيره، ويقبض يده عن زاد لا يؤاكله فيه ضيف، ويرى أعظم أمانيه في إطعام ما أعدّ له ويخير إليه أن المعنفين يأكلون أبعاضا من جسمه وهو عنهم راض وبجرعة من الماء قانع.

[1] ديوان عروة بن الورد:ص44.

[2] المصدر نفسه:ص54.

قال عروة بن الورد:

وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي في إنائك واحد

أَتَهُزُّأ مني أن سَمنت وأن ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد

أقَسْم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والمَاءُ بَارِدٌ[1]

بمعنى أن هذا الخلق النبيل ليس عاما في الصعاليك، فربما وجدت فاتكا، لا يرحم الضعيف ولا يعروه ندم على الإيقاع بالبريء، أو خجل من المجاهرة بالأذى والبغي وترويع الأمنيين فعروة يقول لصاحبه أن أحد لا يشركه في إناء طعامه، أما هو فيشركه كثيرون من العفاة والمحتاجين من أجل ذلك سمن صاحبه، أما هو فأصبح ضئيلا نحيلا، وما شحوب وجهه إلا من آثار نهوضه فهو يقسم طعامه بينه وبين الفقراء.

إنّه لا يأبه بالحياة، ولا يخشى الموت، فقد يدركه الموت وهو مقيم بين أهله، لأن الموت هو المصير المحتوم الذي لا مفر منه، فرض نفسه لمساعدة الفقراء والمحتاجين وعمل من أجل إسعادهم، إنّه من أجلهم يبذل كل ما جمعه من مال، وكل ما حققه من غنى ولابد أن يحقق هدفه، ولا يتوقف في منتصف الطريق، ولا يقنع بأنصاف الحلول، ولا يثنيه شيء عن تحقيق هدفه ورغبته.

3-طريق الوصول إلى السؤدد بالفعل:

ما بالثراء يسود كل مسود مثر، ولكن بالفعال يسود

فهو في البداية رفض أن يكون الثراء أساسا للسيادة وهو بهذا يرفض منطق المجتمع الذي يعيش فيه.

الثراء لا يضع لصاحبه مكانة ولا يترك له أثرا إذا كان ثراءه هذا مجرّد أملاك وأموال وهو ثراء يحب عليه. أما الجيب الذي يرافقه ثراء الخلق وحب العطاء والجود فهو يحسب لصاحبه.

فيكون بذلك صاحب سمعة حسنة يقصده الناس إذا ضاقت بهم الأحوال، لأنهم يذهبون إليه وكلهم ثقة بأنه لن يَرُد سؤالهم ولن يرجعوا فارغي الأيدي مكسوري الخاطر.

[1] المصدر نفسه، ص29.

وقد كان عروة بن الورد من الذين بسطت أيديهم بسطاً فكان ما يملكه في خدمة الأخ والصديق وحتى الجار، وجاء في هذا قوله:

فإذا غُنيتَ فإن جاري نيله من نائلي وميسري معهود[1]

فغنى جاره من غناه والكرم عنده فطرة وأمر يسير.

كما يبدو الغنى ذا جلال ومهابة يطير لها فؤاد صاحبه، ذنبه قليل وإن كثر، فدين الناس أن يغفر للغنى ذنوبه .

وعكس الكرم، البخل فإذا اتصف الإنسان بهذه الأخيرة نفر الناس من حوله وابتعد عن مصاحبته. فلا يطرق بابه محتاج ولا يسأله سائل فإذا كانت الحاجة صُنْعَ الأيام فإن الكرامة فطرة في الإنسان وجزء من شخصيته لا يستطيع التنازل عليها أمام من ساء خلقه حتى وإن كان دواء الداء عنده ويقول عروة :

وإذا افترقت، فلن أرى متخشعا للأخي غنًى، معروفة مكدود[2]

فالإنسان الذي يكون غني وبخيل في نفس الوقت تجد الناس مبتعدين عنه وعن مخالطته.

4 -إطعام الجار وحمايته:

من صفات الصعلوك الجاهلي إطعام الجار وحمايته، فلطالما تغنى العربي بنصرة الجار فقد قدّس المجتمع الجاهلي هذا الأمر تقديسا كبيرا وهي فضائل يعتز بها كل عربي بأن تنسب إليه حتى قد اشتهر بعض أشراف العرب بإطعام الجيران وحمايتهم

منهم عروة يقول:

هلا سالت بني عيلان كلهم عند السنين، إذ اما هبّت الرّيح

قد حان قدْحُ عيال الحي اذ شبعوا وآخر لذوي الجيران ممنوح[3]

فعروة يحرم على نفسه الطعام إذا علم أن بيت جاره قد خلا من ذلك الطعام، وفي ذلك مشاركة وجدانية وهي من الخصال الإسلامية التي أوصانا بها ديننا.

---

[1] المصدر السابق ، ص27

[2] المصدر نفسه، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص25.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه"

قوله تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" النساء الآية35

ولهذا لابد لأي شخص أن يطعم جاره ويحميه من كل أذى وهي وصية القرآن الكريم وأنبيائنا الكرام.

5-الرفق بالمرأة:

لعبت المرأة دورا كبيرا في العصر الجاهلي حيث كانت مصدر إلهام بالنية للشاعر في الجاهلية فهي بمثابة القلب في الجسد ومنبع الحنان وموطن الاستقرار.

حيث كان عروة يحسن معاملة زوجاته، حاميا لهن من كل صنيم حتى قالت فيه إحدى زوجاته سلمى الكنانية التي قادها أهلها منه، فلم تفارقه إلا بعد أن قالت له:

"يا عروة أو الله ما أعلم أن امرأة ألقت شر ما على بعل خيرا منك، وأغض ظرفًا، وأقل فحشا، وأجود يدًا، وأحمى لحقيقة"[1]

وقيل أن امرأة من عبس، ثم من بني سكين، يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلاّ يوما حتى استنقذها قومها، فبلغ عروة أن عامل ابن الطفيل فخر بذلك، فقال عروة يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شعراء الصعاليك:

إن تأخذوا أسماء، موقف ساعة فمأخذ ليلى، وهي عذراء، أَعْجَبُ

لبنت زَمَانًا حسنها وشبابها وردّت إلى شعراء، والرأس أشيب

كمأخذنا حسناءَ كُرْهًا، ودَمْعُهَا غذاة اللّوى، مغصوبةٌ، يتصيب [2]

فإنّ أخبار عروة مع نسائه تدل على احترام متغلغل في نفسه للمرأة، ورواة الأدب العربي يصفونه بأنّه كان لا يمس النساء فهو رجل عفيف.

6-الإيثار:

[1] عروة بن الورد:الديوان، ص9.

[2] المصدر نفسه ، ص18.

الإيثار هو تفضيل الغير عن النفس، وتقديم مصلحته على المصلحة الذاتية وهو أعلى درجات السخاء وأكمل أنواع الجود ومنزلة عظيمة من منازل العطاء وهو شعور داخلي ونزعة موجودة بداخل كل فرد في المجتمع وعروة الصعلوك قدّم صورة رفيعة للإيثار بيّن فيها فكرة التضامن الاجتماعي فهو ينهب مال الأشحاء ليرد على الفقراء والبؤساء من عشيرته وهذه الدعوة لقيت إعجابا من هذا المجتمع ظلت أصداؤه حتى بعد ظهور الإسلام في البلد الأموي إذ يروى أن معاوية بن أبي سفيان كان يقول:"**لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم**"[1]

ويقال أن بعض الناس استأذن في الدخول عليه ويقول للأدنه:

"استأذن لي على أمير المؤمنين وقل ابن مانع الضيم، فيقول معاوية: وَيْحَكَ لا يكون هذا إلا ابن عروة بن الورد العبسي أو الحصين بن الحمام المرى"[2] وحتى ليقول عبد الملك: من زعم حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد."[3]

لعل من أجمل الصفات التي اتصف بها عروة هو حب العطاء وتحقيق الخير للآخرين وقد اكتسب لنفسه مجدا للأجيال التالية تذكره.

7-حسن استقبال الضيف:

يعتبر عروة بن الورد من بين الناس الذين اشتهروا بالكرم فقد كان رائعا في كرمه، هو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسا من فرسانها وصعلوك من صعاليكها.

الضيافة عرف تعود نشأته إلى ظهور المجتمع الإنساني وعدّت من الوسائل التي صانت الإنسانية من الهلاك، ومكّنت اندماج المجموعات البشرية بعضها ببعض، وقد احتلت مع مرور الزمن مكانا هاما بين الفضائل الحميدة حتى إنّ الشعوب المتمدّنة عدّت حق الضيف مقدّسا، حيث أن الضيافة من الفضائل الأساسية في المجتمع القبلي العربي القديم، لذلك عدّت الضيافة أمر مهم بالنسبة لهم، وهي صفة من الصفات التي يجب على البطل في التصور الجاهلي، أن يتحلّى بها.

---

[1] المصدر السابق: ص7.

[2] شوقي ضيف: من المشرق إلى المغرب، الدار المصرية اللبنانية، دت، دط ص18.

[3] عروة بن الورد: الديوان، ص9.

لم يكن عروة جوده مقصور على الصعاليك، وإنما كان يتناول المرضى والضعفاء وكل ضيف أتاه، فقد كان بيته بيت الضيف وفرَاشَهُ فراشُه على حد قوله:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته وكم يلهني عنه غَزَالُ مُقْنَعُ

أحدّثه، إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يَهْجَعُ[1]

هذا ما يدل على اهتمامهم بالضيف وعدم انشغالهم عنه حتى لو كانت هناك امرأة كالغزال في الحسن والجمال، وعروة جعل الضيف مكرّما وهاته الأبيات يصوّر فيها الشاعر مدى حبه للضيوف.

8-الحكمة:

عروة بن الورد يقول بين الغنى والفقر إن الناس يزدرون الفقير ولا يجعلون وزنا من مجتمعهم ولو كان عاقلا فاضلا فقال يخاطب امرأته:

دَعيني للْغنَى أَسْعَى فإنّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرّهم الفقيرُ

وَأَبْعَدهم وأهْوَنُهم عليهم وإن أمسي له حَسْبٌ وخَيْرُ

ويقصيه الندي وتَزْدَريه حَليلتُه وينهره الصغير

ويُلْغَى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قَليلٌ ذَنْبُه، والذين جُمٌ ولكن للغنى رب غفور[2]

عروة رآهم يعظمون الغني مبالغة في إطراء فضائله متناسين عيوبه وما يقترف من ذنوب.

فالصورة التي شاهدها عروة في المجتمع الذي يعيش فيه في مجال أوسع: الأغنياء الذين تؤثرهم الحياة بكل شيء مع غناهم. وإلى جانبهم الفقراء الذين تحرمهم الحياة من كل شيء مع شدة حاجتهم وضعفهم.

---

[1] المصدر السابق، ص.49

مُقْنَعُ: اللابس القناع، ما تغطي به المرأة رأسها.

يهجع: ينام.

[2] ديوان عروة بن الورد: الديوان، ص45.

عروة بن الورد أكثر من تحدث عن الحكمة واستهانته بالموت واستعداده للقائه في كل حين، فنراه مرة يزحر امرأته التي تنهاه عن المخاطر خوفا من الموت، يقول لها أنه يريد أن يستقبل الموت وهو يصارع الحياة وصولا إلى هدف، لا أن يستقبله فقير البيت فيقول:

أرى أم أحسّان الغداة تلومني تخوفني الأعداء والنفس أخوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنا يصادفه في أهله المتخوف [1]

إنّ الموت الذي يخوفنا منه قد يصادفنا في أي مكان، وفي أي موقف فالخوف إذن إذا خرجنا في الغزو والقارة أو إذا تخلفنا عن الركب.

ويقول لها أيضا:

ذريني ونفسي أم حسّان أنّني بها قبل ألا أملك البيع مشتري

فإن فاز سهم للمنية لم أكن جَزُوعًا، وهل عن ذاك من متأخر[2]

ويقول أيضا أن المنايا متربصة في كل ثنية يواجهها المرء، ولا مفر له منها، فليس من الحكمة أن يتهرب من أمر لابد واقع فيقول:

وإن المنايا تغر كل ثنية فهل ذاك عمّا ينبغي القوم محصر[3]

ولذلك فهو ينصح المرء بألّا يترك خوف الموت يذيقه ذلا أو فقرا فيقول:

فقلت: له ألا أحى وأنت حُرٌ ستشبع في حياتك أو تموت[4]

9-الصبر:

حين نستعرض حياة الصعاليك من أخبارهم ومن تصوير شعرهم نجد أن حياتهم كلها كانت تقوم على الصبر الشديد الذي لا يقوى عليه غيرهم، ولا تطيقه نفوس غير نفوس الصعاليك.

---

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص36.

[3] المصدر نفسه:ص39.

[4] المصدر نفسه، ص21.

فحين ننظر إلى الشنفرى مثلا وهو يقاوم الجوع الشديد، فيظل يحتملن ويقاوم ويتجاهل، حتى يكاد ينعدم لديه الشعور بالجوع حيث يقول:

أديم مطال الجوع حتى أميته واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل

ولذلك يرى نفسه ليس صبورا فحسب، وإنّما هو مولى للصبر متحكم فيه.

أما عروة يحدثنا عن صورة من صور صبره فيقول:

صبور على رزء الموالى وحافظا لعرضى حتى يوكل االنبت أخضرا[1]

ويقول أن صبره أقوى من كل حدث، فلا شيء قط يدفعه إلى شكوى أو جزع:

فلا أنا مما جرت الحرب مشتك ولا أنا مما أحدث الدهر جازع[2]

فكل ما في حياة الصعلكة لا يقوى عليه إلا الرجل الصبور، فحياة الصعلكة من حيث هي نموذج للصبر الشديد على حياة قاسية مجهذة محفوفة بالمخاطر من كل جوانبها، وفي كل خطواتها وقد صبر الصعاليك على حياتهم.

ومن أعظم أنواع الصبر: الصبر على الفقر يقول عروة:

إلى حكيم تناجل منسماها حصى المغراء من كنفي حقيل

ولم أسألك شيئا قبل هاتى ولكني على أثر الدليل

وكانت لا تلوم، فأرقّتني ملامتها على دلّ جميل

وأست نفسها، وطوت حشاها على الماء القراح مع المليل [3]

فرغم الماء الخالص وقلة الخبز إلا أن عروة صبر على كل هذه الظروف والأبيات السابقة خير دليل.

فعروة صبور متجلد طموح الأسفار، يفضل المسالك الوعرة يبيت وحيدا بتلك الأرض الواسعة، يحيا مع الوحوش ويحيا مع الطبيعة، يعرف طريقه في الليل المظلم، مهتديا بالنجوم سريع الجري يقظ فإذا نام ظلّ قلبه يقظ.

---

[1] المصدر السابق، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص47.

[33] المصدر نفسه، ص61.

10-العفة:

العفة في صلة المرأة بارزة في شعر الصعاليك، فليست عن الجانب الوحيد في عفتهم، ولا هي أبرز الجوانب، وإنّما نحس أنّ العفة خلق أصيل في الصعاليك.

فهذه زوجة عروة بن الورد، تصف قائلا: "والله أعلم امرأة ألعت سرّها على بغل خير منك، أغفل عينا، وأقل فحسنا، وأحمى الحقيقة."[1]

ولم تقل ذلك وهي في كنفه وإنّما قالت حسينا هجرته هجرة لا أهل في رجوعها عنها.

عروة يحافظ عل عورات النساء ويشرفهن، فهو الصعلوك الذي دافع على شرف بنات قبيلته فقد كان دائما يحاول مساعدة النساء، فهو الذي يبذل بماله ونفسه من أجل حماية كرامة وعرض نساء قبيلته.

والعربي لم يقل حياء وعفة اتجاه المرأة في المجتمع الجاهلي لأنّ الرجل الشريف والكريم يضحي بنفسه ويبذل بماله من أجل حماية عرضه فكيف يسمح لنفسه أن يمس أعراض الآخرين لهذا التزم العربي بغض بصره.

يقول عروة بن الورد:

وإن جارتي أَلْوَتْ رياحٌ ببيْتها تَغَافَلْتُ، حَتَّى يَسْتُرَ البَيْتَ جَانبَهُ[2]

بمعنى المرأة العربية حافظت على عفتها وطهارتها في مجتمع مجَّد العفة واعتز بها فالمرأة الشريفة والطاهرة والعفيفة كانت المثل الأعلى بالنسبة للرجال الذين ضحوا بأغلى ما عندهم من أجل بقاء العرض طاهرا، وكان الموت أهون عليهم من سبب النساء.

بالإضافة إلى عروة نجد عنترة بن شداد الذي كان يحاول دائما مساعدة نساء القبيلة ويغيث كل امرأة واقعة في حرج أو أي امرأة متعرضة للخطر، ويحاول أن يقذف بنفسه في أتون المعركة ليدافع عنها ويسعى من أجل خلاصها.

فنجده يقول:

---

[1] المصدر السابق، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص19.

وَمُغْبَرَة شَعْوَاءَ ذَات أشلَّة فيها الفَوَارسُ حَاسرٌ ومُقَنَّعُ
فَزَجَرْتَهَا عَنْ نسْوَة من عامر أَفْخَاذُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الخرْوَعُ
وَعَرَفْتُ أنَّ مَنيَّتي إن تَأْتني لا يُنْجني منها الفرَارُ الأسْرَعُ[1]

فعنترة ينجد النساء دون استثناء، فصفاته الأخلاقية الرائعة تدعوا إلى احترام النساء والغيرة عليهن.

11-الفخر:

صفة مشتركة بين الشعراء جميعا قديمهم وحديثهم فلا يتصور شاعر قط لم يفخر بنفسه وإن لم يكن يستحق من الفخر شيئا، فمن الطبيعي أن يفخر الشعراء الصعاليك بأنفسهم.

الفخر بالمقدرة صفة من الصفات التي يتميّز بها عروة فقد افتخر مقدرته على الاهتداء في الفلاة الغامضة مخوفة التي يعرض سالكها نقسه للمهالك من غير أن يستشير أحدا أو يستعين بأحد يقول:

وغبراء مخشى رَدَاها، مخوفة أخوها بأسباب المنايا، مقرر
قطعت بك شك الحلاّج، ولم أقل لخيّابة، هيَابة، كيف يأمر؟[2]

ويفخر أيضا عروة بإكرامه للضيف يقول:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع[3]

فإكرام الضيف والفخر به شائع في شعر العرب وقول عروة دليل على ذلك.

12-مساعدة الفقراء:

الفقراء يلجؤون إلى عروة من أجل طلب العون ومن الطبيعي أن تجد دعوتهم أذان صاغية وقلوب مؤمنة، فكان عروة يوزع الغنائم على من أغار بهم.

---

[1] عنترة بن شداد العبسي: الديوان، ص95.
[2] ديوان عروة بن الورد: الديوان، ص39.
[3] المصدر السابق، ص49.

وقد عرف الصعاليك في عروة هذه النفس الإنسانية القوية فكانوا إذا أصابتهم سيئة أتوه فجلسوا أمام بيته، فلمّا بصروا به صرخوا وقالوا يا أب الصعاليك أغثنا فرّق لهم وخرج ليغزوا بهم ويصيب معاشا فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفّت عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازيا قبض الله له رجلا صاحب مائة من الإبل فقد فرّ بها من حقوق قومه فقتله وأخذ إبله ثم اقبل بإبل يقسمها بين صعاليكه فقال في ذلك:

أرى أمّ حسّان، الغذاة تلومني تخوّفني الأعداء، والنفس أخوفُ
تقول سليمي، لو أقمت لسرّنا ولم تدر أني للمقام أطوفُ
لعلّ الذي خوّفتنا من أمامنا يصادفه، في أهله، المتخلف
إذا قُلْتٌ جَاء الغنَى، حال دونه أبو صبية، يشكو المفاقر،أعجف
لَهُ خلّةُ، لا يدخل الحق دونها كريم أصابته خطوبٌ تجرّفُ[1]

فبالرغم من أن امرأته نهته عن الغزو وكانت نفسها متخوفة من الهلاك، إلا أنّ عروة سلك سبيله في الحياة، يسلب الأغنياء أموالهم ليوزعها على الفقراء الذين حرمتهم الحياة من كل شيء مع شدّة حاجتهم هذه الصورة التي شاهدها عروة في المجتمع الذي يعيش فيه.

عروة نحل جسمه وقد تحدّث عن سبب نحوله وهو الجوع وأنه كان يمكن ان يكون لجسمه ضخما لو أثر نفسه برزقه، ولكنّه يؤثر أن يقسّم هذه الضخامة في أجسام كثيرة من الذين يجود عليهم لو يشركهم معه في رزقه من الناس فيقول:

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به خصاصة جسم وهو طيان ماجد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد[2]

فعروة قسم جسمه من أجل إطعام الفقراء ومساعدتهم.

13-علو الهمة والاعتزاز بالنفس:

حين نستعرض شعر الصعاليك نجد فيه بوضوح أنّه ينبع من أشخاص يعتزون بمقومات كثيرة، تدور كلها حول قوة الشخصية والاعتزاز بالنفس.

[1] المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص29.

فعروة يبن سبب إعراضه عن رأى الناس بأنه يراهم لا يعجبهم حال، فإن زاول الصعلكة لاموه، وإن كف عنها افتقر فيعيروه بفقره.

يقول:

وقد عيروني المال حين جمعته وقد عيروني الفقر إذا أنا مُقْتِرْ[1]

ولذلك صمّم على أن يرفع من شأنه وأن يعتز بنفسه وأن يجعل أمره دائما لا يستشير فيه أحد يقول:

سأغيثك عن رجع الملام بمزمع من لأمر، لا يعيشوا عليه المطاوع[2]

بمعنى أنّه يعتمد على رأيه وحده ويرفع همّته.

14-الصدق والأمانة:

الصدق من أبرز وأهم الصفات الحميدة التي أوصانا بها ديننا الحنيف فمن يقول الصدق تنشر المحبة والصفاء في قلوب الناس.

لم يكن عروة فارسا صعلوكا جوادا فحسب وإنّما كان العرب يأتمون بشعره، حدّث عمر بن سيّدة قال: "بلغني أنّ عمر بن الخطاب قال للحطيئة :كيف كنتم في حربكم؟ قال:كنّا ألف حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيس بن زهير وكان حازما، وكنّا لا نعصي، وكنّا نقدّم إقدام عنترة، ونأتمّ شعر عروة بن الورد وننقاد لأم ر الربيع بن زياد." وذلك لما امتاز به شعره من لطف وبعد عن الحوشية سها اللفظ، واضح المعنى، قريب التعبير لا تكلف فيه ولا تصنع.

15-الدفاع عن الشرف:

يذكر في شعر عروة أنّ أمّه من نهد وهي قبيلة يمنية وقد كان يهجو أخواله هجاء مرّا ولعلّ من أسباب هذا أنّ قبيلة نهد كانت أقل شرفا من عبس، ولعلّ هذا الإحساس الذي يسيطر على نفس عروة بأنّ أمّه أقل شرفا من أبيه هو الذي جعله ينسب على ما يحسّه من عار إلى تلك الصلة التي تربطه بأخواله النهدين:

---

[1] المصدر السابق: ص40.

[2] المصدر نفسه:ص48.

يقول عروة:

مابي من عار إخَالُ علمتُهُ سوى أن أخوالي، إذا انسبوا، نَهَدُ
إذا ما أردت المَجْدَ قصّر مَجْدُهُمْ فأَعْيَا عَلَيّ أن يقاربني المَجْدُ
فياليتهم لم يضربوا في ضَرْبَةً وأنّي عَبْدُ فيهم، وأبي عَبْدُ
ثعالب في الحرب العَوَان ، فإن تبخ وتنفرج الجُلّى، فإنّهم أسْدُ[1]

فعروة دافع عن شرفه وأباه وعبس كانت تتشاءم منه لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة بمراهنة حذيفة.

صفات أخرى من شعر عروة:

من صفات عروة فارس الجاهلية وصعلوكها حبّه للعمل وكرهه للخمول والكسل فأسوء طوائف الصعاليك عنده أولائك الصعاليك الذين يقضون حياتهم في خمول وهوان وتخاذل

يقول:

لحا الله صعلوكا إذا جنّ ليله مصفي المشاش ألف كل مجزر
يَعُدُّ الغنَى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثمّ يصبح ناعسا يحثّ الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه إذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساء الحي ما يشعنه فيمسى طليحا كالبعير المحسَّرا[2]

يقدم عروة نموذجا للصعلوك الخامل أو الصعلوك المرفوض، فيقول :"قبّح الله هذا الصعلوك الذي جنّ ليله تجده مصافي المشاش آلفا كل مجزر"

هي صورة تمثّل هذا الصعلوك كالكلب الذي يعيش على بقايا العظام حول المجازر كما يكشف عن قسوة المجتمع الذي عاش فيه، والذي انتظم عروة إنّ هذا الصعلوك يعدّ

---

[1] المصدر السابق، ص26.

نهد: قبيلة يمنية

تبخّ: أي تنطفئ الحرب .

[2] عروة بن الورد: الديوان ، ص37.

الغنى أن يملئ بطنه ولا يبالي بمن وراءه وهو خامل لا يطلب الزاد إلاّ لنفسه فإذا ما أشبع ألقى بنفسه كأنّه عريش قد انهار، إنّه بعيد عن حياة الليل فهو ينام ليلا ويصبح ناعما يزيل الحصى عن جنبه المتعفر.

أمّا أولائك الصعاليك العاملون الذين يقضون حياتهم في العمل والكفاح والمغامرة فإنّ عروة معجب بهم إعجابا شديدا، لأنّهم الذين آمنوا بمذهبه في الحياة فالصعلوك الفاضل كما يراه يبدو وجهه كقبس من نور بطل دائما على أعدائه يجزرونه ويدفعونه كما يدفعون قدحا سريع الخروج والفوز.

يقول:

ولكنّ صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنوّر
مطلا على أعدائه يزجرونه سباحتهم زجر المنيح المشهّر
فإنّ بعدوا لا يؤمنون اقترابه تشَوّفُ أهل الغَائب المنتظر
فذلك فإن لم يلق المنية بلقها حميدا وإن يستغن يوما فأجدرا[1]

فنجد عروة يسخر سخرية موجعة من الصعلوك الذي يرضى لنفسه أن يكون كل أمله أُكْلَةٌ يجود عليه بها أحد وأن يكون كل ما في حياته حلقة مفرغة، من النوم والكسل وخدمة المحسن إليه.

فمهما كانت نتيجة المخاطرة فهي خير من خمولهم وهوانهم بين الناس يقول عروة:

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إنّ العقود مع العيال قبيح

وكما يقول أيضا:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر[2]

وهكذا كان بن الورد ينادي بمذهبه في أرجاء قبيلته أو بالأحرى في المجتمع الجاهلي.

*بالإضافة إلى هذه الصفات الحميدة، نجد عروة كذلك يتصف بصفة الزعامة والجرأة التي تفارقه، فهو لا يقف ربيئا لأصحابه، وإنّما يبعث أحدهم ليرقب لهم الطريق فوق

[1] المصدر السابق: الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه:ص44.

المرتفعات وهو يرسم في بعض شعره صورة لهذا الربيئ وقد وقف فوق مركبة ثابتا لا يتحرك كأنّما غرس فوقها يقول:

إذا ما هبطنا منهلًا في مخوفة بعثنا ربيئا، في المرابئ كالجذل

يقلّب في الأرض الفضاء، بطرفة وهنَّ مناخات، ومرجلنا يغلي[1]

ويدعو رفاقه إلى الخروج معه للغزو والغارة وهو الزعيم الأكبر يقول:

أقيموا بين لبنى صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزل

فإنّكم لن تبلغوا كل همّتي ولا أربي، حتى تروا مَنْبتَ الأثل[2]

وهو زعيم بارع، يجمع جنوده ويخرج بهم فرسانا وكان يراقب لهم الطريق حتى لا يفاجئهم عدو وهم غافلون.

يقول:

لعلّ زوالا في البلاد بغيّتي وشدّي حيازيم المطيّة بالرّحل

سيدفعني، يوما، إلى ربّ هجمة يدافع عنها بالعقوق والبخل

قليل تواليها، وطالب وترها إذا صحّت فيها بالفوارس والرّحيل[3]

فهو في هذه الأبيات جعل من نفسه زعيما وصفوه بأنّه ربّاء مرقية

يبيّن عروة سبب إقدامه وجرأته، فيقول أنّه عدم الحرس على الحياة وعدم الجزع من الموت

فإنّ فرسهم للمنية لم أكن جزوعا وأهل عن ذاك من متأفر[4]

فجرأة عروة تتمثل في المخاطرة والمجازفة وهو رجل جريئ يقول:

إذا قيل يا ابن الورد أقدم إلى الوغى أجبت فلاقاني كمى مقارع[5]

بمعنى أنّه سريع الاستجابة لا داعي الوغى.

---

[1] المصدر السابق،ص55.

[2] المصدر نفسه: ص54.

[3] المصدر نفسه:ص55.

[4] المصدر نفسه:ص36.

[5] المصدر نفسه:ص37.

*الإيمان بقضاء الله وقدره صفة من الصفات الحميدة ومن مكارم الأخلاق التي اتّصف بها عروة فرغم الظروف الصعبة التي مرّ بها واجتاز أماكن عديدة بحثا عن إطعام الفقراء إلا أنّ قلبه مليء بالإيمان جلا عنه الشكوك يقول:

بنيت على خُلق الرجال بأعظم خفاف، تتنى تحتهُنّ المفاصل

وقلب جلا عنه الشكوك، فإن تشأ يخبرك، ظهر الغيب،ما أنت فاعل[1]

فعروة أدرك حقيقة أمر الله مقدّر محتوم، ليس بردّه أحد فقضاء الله وقدره لابد للمرء أن لا يتجاهله في حياته.

حب عروة للرماح واعتبرها سلاح من أسلحة الفرسان:

أشهر من تحدث عن الرماح في الأسلحة واشتهر بها عروة بن الورد وهو يرسم في رايته المشهورة صورة رائعة له ولأصحابه. وهم على خيلهم يطاردون إبلا نهبوها، وقد أسرعوا رماحهم وسيوفهم ليدفعوا عنها أصحابها الذين خرجوا ليشرّدوها يقول:

سيفزع بعد اليأس من لا يخافنا كواسع في أخرى الشوام المنفر

يطاعن عنها أول القوم بالقنا وبيض خفاف ذات لون مشهرا

فيوما على نحد وغارات أهلها ويوما بأرض ذات شتّ وعرعر[2]

---

[1] المصدر السابق ، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص.38.

كواسع: خيل تطرد إبلا تكسعها في أثرها.

شتّ وعرعر: نوعان من الشجر.

هي صورة تستمد عروتها من صدقها وحيويتها، فهذه الخيل القوية السريعة التي تمتطيها الفرسان الصعاليك مشغولة بمطاردة أخريات الإبل المنهوبة، أما فرسانها أنفسهم فمشغولون بمقاتلة الإبل ويذكر أنه رمح أسمر، قناتة من الخطى المشهورة .

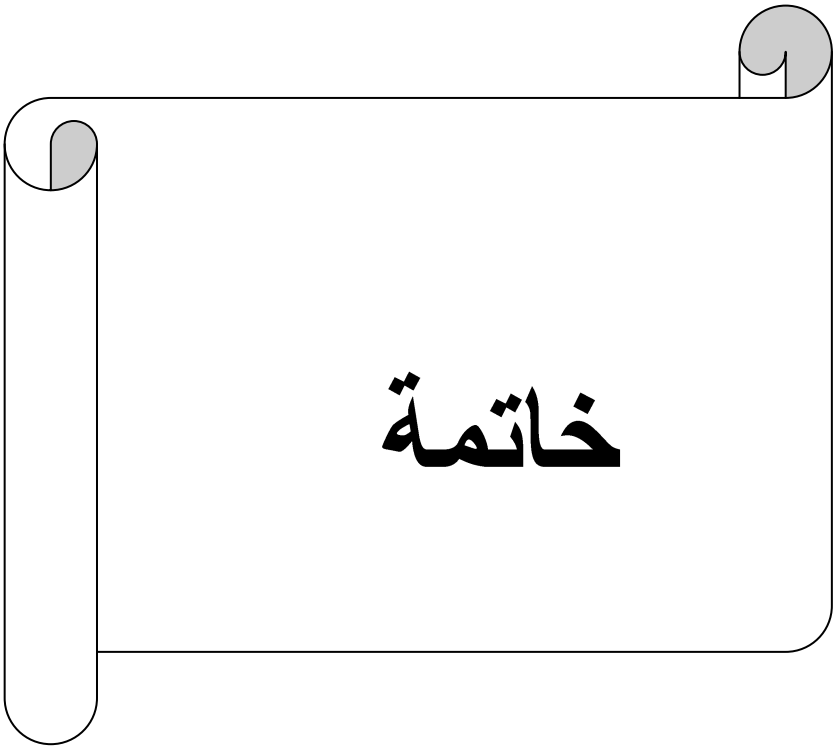
خاتمة

خاتمة:

-الصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية.

-ما يميّز عروة عن غيره من الشعراء أنّه كان أبي عزيز النفس.

وأخيرا فإن شعر عروة قد عبّر بعمق عن طبيعة الحياة الجاهلية التي عاشها بما تحمله من قيم إنسانية وأخلاق سامية من كرم وشجاعة وصبر، لذا فإنّ شعره سيبقى على الدوام مدرسة تقتدي بها الأجيال القادمة.

ويبقى مجال البحث والاستفادة من ديوان عروة مفتوحا لدراسي الأدب القديم وغيرهم من الباحثين الأدباء.

ولكن مهما يكن فإنّنا نحمد الله ونشكره على إتمام بحثنا هذا، فقد حاولنا فيه إزالة بعض الغموض والوصول إلى بعض الحلول، آملين أن يجد الدارس فيه ما يفيد وندعو إلى الغوص فيه، وكشف جوانب أخرى متنوعة في هذا الموضوع الممتع، وأسأل الله أن يضيء لنا طريق العلم والنجاح.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1.القرآن الكريم

2.قائمة المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، المقدمة، دار يعرب، ط1377 م ابن منظور: لسان العرب. دار صادر بيروت1968،ج2.
2. أبو فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ج3،د ط.
3. أمية بن أبي الصلت: الديوان،دار الفكر اللبناني ، بيروت، ط1، 2010، ص3.
4. الجرجاني: كتاب التعريفات.
5. جواد علي المفضل: تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993، ج4
6. ديوان أبي تمام، الحماسة.
7. ديوان الأعشى: دار صادر بيروت،ط1.
8. ديوان عروة بن الورد والسمؤال بن خاديا.
9. ديوان عروة بن الورد: شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر. دار الكتاب العربي، بيروت،ط2، 1997.
10. زهير بن أبي سلمى: الديوان.
11. شرح ديوان عروة بن الورد لإبن السكيت.
12. إبن قتيبة ،الشعر والشعراء:ج2
13. عنترة بن شداد العبسي: الديوان، مطبعة الآداب ، بيروت ،1893،ط4.
14. الفيروز أبادي: القاموس المحيط،ج1.
15. المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب. يحي جراد مؤسسة المختار، دار النشر2004.
16. محمد ابو بكر: عروة بن الورد أمير الصعاليك. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الفقي: الثقة والاعتزاز بالنفس، دار النشر والتوزيع، دط، ذت.
2. ابن سينا: عيون الحكمة، حققه فقدمه عبد الرحمان يروى، دار العلم بيروت، لبنان، ط2، 1910.
3. ابن فارس: مقاييس اللغة ،تح عبد السلام محمد هارون.
4. ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تح عماد الهلالي، منشورات بيروت، لبنان، ط1 ، 2011.
5. أبو الحسن إسماعيل بن سيرة المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هداوي، منشورات محمد علي بيضوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000،ج2
6. أبو الوفاء محمود أبو الوفاء، المحقق: أحمد الزين – محمود أبو الوفاء:شرح وتحقيق ديوان الهذلين، دار الكتب المصرية، سنة النشر1965.
7. أبو بكر الجزائري: الحبيب محمد.
8. تاريخ الأدب العربي: الأدب الجزائري غازي ظليمات وعرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، مكتبة دار الإرشاد، حمص،ط1.
9. حسن جعفر نور الدين: مؤسسة الشعراء المماليك رشاد دوسي، لبنان، دط، ج1.
10. حسن عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي، قضايان فنون، موصوف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003.
11. حفني الحاج حسن: أدب العرب في الجاهلية.
12. عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة البشرية السامية للكتاب،1987،دط.
13. شوقي ضيف: من المشرق إلى المغرب، الدار المصرية اللبنانية، دت، دط.
14. عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، الهيئة البشرية العامة للكتاب 1987 .
15. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: دار المعارف، دط.
16. الراغب الأصفهاني: المفردات.

17. الصورة البيانية في شعر عروة بن الورد" دراسة تحليلية نقذية، بحث تكميلي لنيل شهادة ماجيستر في الأدب واللغة العربية، بلاغة ونقذ.
18. عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس.
19. عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا، دط، 2005.
20. عزيز جندي: شعر العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر ، دط.
21. غازي طليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي، قضايا، أغراض، أعلام وفنونه، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دط،2002.
22. غازي طليمات: الأدب الجاهلي قضايا، فنون، نصوص
23. القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
24. القسم العلمي بمؤسسة الدار النسبية مقدمات في الأخلاق الإسلامية، الإحسان، الألفة، موسوعة الأخلاق،ج1.
25. محمود حمدي زقزوق: الموسوعة الإسلامية العامة إشراف مطابع الأهرام.
26. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب واللغة العربية: أدب قديم، جامعة بسكرة.
27. مؤسسة المعارف دط.دت.
28. المبارك فوري: الرحيق المختوم، نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين.
29. حاتم الطائي: الديوان شر أحمد رشاد، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط3،2002.
30. علي الجندي: شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط.
31. النابغة الذبياني:الديوان، تحقيق عبّاس عبد الستار،دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة		أ- ب
التمهيد		1
الفصل الأول :ضبط المفاهيم		
المبحث 01	:مفهوم الصعلكة	2
	لغة	2
	اصطلاحا	2
	:طوائف الصعاليك	2
	:أسباب الصعلكة	4-3
	:لماذا ظهرت الصعلكة وأين؟	5
	:صفات الصعلوك	5
المبحث 02	لمحة وجيزة عن الشاعر	6
	نسبه	6
	نشأته	7
	أخلاقه	7
	شعره	9
	موضوعات شعره	10
	مميزات شعره	12
المبحث 03	مفهوم الأخلاق	13
	لغة	13
	إصطلاحا	14
	أهمية الأخلاق	14
المبحث 04	أخلاق العرب في الجاهلية	23-16
الفصل الثاني		40-24

فهرس الموضوعات

تجليات مكارم الأخلاق في شعر عروة ابن الورد		
خاتمة		41
المصادر والمراجع		44-42
فهرس الموضوعات		64-45
ملخص		

الملخص باللغة بالعربية:

تمثل موضوع بحثنا في الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي لواحد من أعظم الشعراء الصعاليك عروة بن الورد وتمت خطتنا على منوال سحبناه كالآتي:

تمهيد وفصلين (نظري وتطبيقي) خاتمة.

الفصل الأول:تطرقنا فيه إلى مفهوم الصعاليك ثم لمحة وجيزة عن حياة الشاعر وأخيرا انتقلنا إلى أخلاق العرب في الجاهلية وتجلياتها فيه من كرم وصبر وصفات أخرى.

الفصل الثاني:بعنوان مكارم الأخلاق في شعر عروة بن الورد عمدنا فيه إلى استخراج جوانب أخلاقية وردت في شعر عروة، لنصل في خاتمة بحثنا إلى أهم النتائج المحصلة.

Résumé

The subject of our research was the ethical aspect of pre-Islamic poetry by one of the greatest tramp poets Urwa ibn al-Ward, and our plan was based on a pattern that we took as follows:

Introduction and two chapters (theoretical and practical) conclusion.

The first chapter: In it we dealt with the concept of tramps, then a brief overview of the poet's life, and finally we moved on to the morals of the Arabs in ignorance and their manifestations in it of generosity, patience, and other attributes.

The second chapter: titled Honors of Ethics in the Poetry of Urwa Ibn al-Ward, in which we extracted the ethical aspects mentioned in the poetry of Urwa, so that in the conclusion of our research we arrive at the most important results obtained.